دار الكتاب الصوفي

الفرقة الناجية

السيد محمد ماضي أبو العزائم

فرق البغاة

فرق الغلاة

السيد عز الدين ماضي أبو العزائم

دار الكتاب الصوفي
تقدم لك

الفرقة الناجية

للإمام المجدد
السيد محمد ماضي أبو العزائم
أستاذ الشريعة الإسلامية
بجامعة الخرطوم

طبع بإذن من
شيخ الطريقة العزمية
السيد عز الدين ماضي أبو العزائم
[illegible]



الطبعة الأولى : ٢٧ رجب ١٣٥٢ هـ
١٦ نوفمبر ١٩٣٣ م

الطبعة الثانية : ٧ رجب ١٤٠٠ هـ
٢٢ مايو ١٩٨٠ م

الطبعة الثالثة : ١٦ ربيع أول ١٤١٣ هـ
١٤ سبتمبر ١٩٩٢ م

بسم الله الرحمن الرحيم

فاتحة الكتاب

الحمد لله مجيب الدعوات ، ورافع الدرجات ، وولى الحسنات ، وعالم الخفيات ، ودافع البليات ، وغافر الخطيئات ، وقابل التوبات . والصلاة والسلام على سيدنا محمد عبد الله ورسوله ، ونبيه وأمينه ، وصفيه وحبيبه ، وخيرته من خلقه ، وعلى آله شجرة النبوة ، وموضع الرسالة ، ومعدن الحكمة ، وفصل الخطاب ، وعلى صحابته الهادين المهديين ، ورضى الله تبارك وتعالى عن الإمام المجدد السيد محمد ماضى أبى العزائم ، ونضر الله وجه خليفته الأول الإمام الممتحن السيد أحمد ماضى أبى العزائم ، آمين .

وبعد ، فتقدم (دار المدينة المنورة) الطبعة الثالثة من كتاب « الفرقة الناجية » للإمام المجدد السيد محمد ماضى أبى العزائم ، الذى يتناول فيه الإمام أبو العزائم الفرقة الناجية ، من الأمة الإسلامية التى افترقت ثلاثا وسبعين فرقة كما أنبأ عن ذلك نبينا الصادق الأمين صلوات الله وسلامه عليه بقوله : « ليأتين على أمتى ما أتى على بنى إسرائيل ، تفرق بنو إسرائيل على اثنتين وسبعين ملة ، وستفترق أمتى على ثلاث وسبعين ملة تزيد عليهم ملة ، كلهم فى النار إلا ملة

واحدة ، قالوا : يارسول الله ، من الملة الواحدة التى لاتنقلب ؟ قال : ماأنا عليه وأصحابى » وتلك من أعلام نبوته ، وما أكثرها .

وأصول الفرق الإسلامية التى إليها المرجع والمآل أربعة :

١ ـ المرجئة :

فأساس الإرجاء هو تحديد معنى الإيمان وما يتبع ذلك من أبحاث ، فالإيمان تصديق بالقلب ، وإقرار باللسان ، وإتيان بأنواع الأعمال من صلاة وصوم وزكاة وحج ، فأى هذه هو الإيمان ؟ أو هل هو كلها جميعا ؟ على هذا البحث دار الإرجاء .

فكثير من المرجئة كانوا يرون أن الإيمان هو التصديق بالقلب فقط ، أو بعبارة أخرى : هو معرفة الله بالقلب ولا عبرة بالمظهر ، ومن المرجئة من كان يرى أن الإيمان ركنان : تصديق بالقلب وإقرار باللسان ، وكان أشد خصوم المرجئة فى ذلك هم المعتزلة والخوارج ، لأن هاتين الفرقتين اشترطوا فى الإيمان الإتيان بالطاعات واجتناب المعاصى ، وجعلوا الأعمال جزءا من الإيمان ، ومما فرعه المرجئة على تعريفهم للإيمان أن المؤمن مرتكب الكبيرة لايخلد فى النار ، لأنه لايخلد فى النار إلا الكافر .

وفكر المرجئة يخدم السياسة ـ ولو من طريق غير مباشر ـ لأن هذا الفكر يجعل أصحابه محايدين ، لا ضد الدولة ولا معها . فالمرجئة كانوا أميل إلى مسالمة الدولة الأموية والدولة العباسية ، والمرجئة تنقسم إلى خمس فرق : الأولى : أتباع يونس بن عون ، والثانية : الغسانية ، والثالثة : اليومية ، والرابعة : الثوبانية ، والخامسة : الخالدية .

٢ – المعتزلة :

وهم الذين اعتزلوا حلقة الحسن البصرى ، أمثال عمرو بن عبيد وواصل بن عطاء وغيرهما ، فنبذوهم بهذا اللقب وسموا : معتزلة . ومن مبادئهم أن الله عز وجل شيء لا كالأشياء ، وأنه خالق الأجسام والأعراض ، وأنه خلق كل ما خلقه من لا شيء ، وأن العباد يفعلون أعمالهم بالقدرة التى خلقها الله سبحانه وتعالى فيهم ، وأن الله لا يغفر لمرتكب الكبائر بلا توبة . والمعتزلة افترقت إلى خمس عشرة فرقة وهى : الغيلانية ، والواصلية ، والعمرية والهذيلية ، والنظامية ، والثمامية ، والبشرية ، والمزدارية ، والهشامية ، والجاحظية ، والكعبية ، والجبائية ، والبهشمية ، والأحشدية ، والخياطية ، والحسينية .

٣ – الشيعة :

التشيع أساسه الاعتقاد بأن سيدنا عليا كرم الله وجهه وذريته عليهم السلام أحق الناس بالخلافة ، وأن النبى صلى الله عليه وسلم عهد له بها من بعده ، وأما فرق الشيعة فهى ثلاث :

أ – الإمامية : وهم القائلون بإمامة الاثنى عشر ، وولادة الثانى عشر ووجوده اليوم حيا ، ويترقبون كل حين ظهوره ، ويسمون أصحاب الانتظار .

ب – الزيدية : وهم الذين يرون إمامة زيد بن على بن الحسين عليهما السلام وكل من قام بالسيف من بنى فاطمة وكان جامعا للخصال الحميدة .

جـ – الإسماعيلية : وهم الذين يجعلون الإمامة بعد الإمام جعفر الصادق عليه السلام فى ابنه إسماعيل دون موسى الكاظم وبنيه عليهم السلام .

٤ - الخوارج :

وهم يقولون : إن العبد يصير كافرا بالذنب ، ويكفّرون عثمان وعليا رضى الله عنهما وطلحة والزبير وعائشة ، ويعظمون أبا بكر وعمر رضى الله عنهما ، وهم إحدى وعشرون فرقة وهم :

١ - المحكمية : هم الذين قالوا لسيدنا عليّ عليه السلام - لما توقف عن القتال وقبل التحكيم : - إن كنت تعلم أنك الإمام حقا فلم أمرتنا بوقف الحرب انتظارا لنتيجة التحكيم ؟ ثم انفصلوا عنه بهذا السبب ، وكفروا سيدنا عليا ومعاوية .

٢ - الأزارقة : ومن مذهبهم أن قتل من خالفهم جائز .

٣ - النجدات : وهم يرون أن قتل من خالفهم واجب .

٤ - البيهسية : ومن مذهبهم أن من لا يعرف الله تعالى وأسماءه وتفاصيل الشريعة فهو كافر .

٥ - العجاردة .

٦ - الصليتة .

٧ - الميمونة .

٨ - الحمزية .

٩ - الخلفية .

١٠ - الأطرافية .

١١ - الشعيبية .

١٢ - الحازمية .

١٣ - الثعلبية .

١٤ - الأخنسية .

١٥ - الرشيدية .

١٦ – المعبدية .
١٧ – المكرمية .
١٨ – المعلومية والمجهولية .
١٩ – الأباضية .
٢٠ – الأصفرية .
٢١ – الحفصية .

وهناك من الفرق غلاة الشيعة وهم خمس عشرة فرقة ، والكيسانية يقولون : إن الإمامة لمحمد بن الحنفية ، وهم أربع فرق ، والمشبهة وهم خمس فرق ، والكرامية وهم أتباع ابن كرام من سجستان اغتروا بزهده ، وهم سبع فرق ، والجبرية وهم أربع فرق ، ويقولون : إن العبد ليس خالقا لفعله .

ويتبين من استعراض هذه الفرق الإسلامية أنها أكثر من ثلاث وسبعين فرقة ، مع أن الرسول صلوات الله وسلامه عليه لم يخبر بأكثر من ثلاث وسبعين ، فكيف يكون ذلك ؟ .

والجواب عن هذا : أنه يجوز أن يكون مراده عليه الصلاة والسلام من ذكر الفرق ؛ الفرق الكبار ، وما ذكرناه من الفرق ليست من الفرق الكبيرة ، ويجوز أيضا أنه أخبر صلوات الله وسلامه عليه أن الأمة الإسلامية ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة ولم يجز أن يكون أقل ، وأما إن كانت أكثر فلا يضر ذلك .

والفرقة الناجية هم السلف الصالح لا السلف الطالح الذى يأخذ بالمعنى الحرفى للقرآن – حتى فى الآيات التى توهم بالتجسيم – فيقولون باعتقاد الجهة لله قياسا للخالق على المخلوق . أما السلف

الصالح فهم الذين ينزهون المولى سبحانه وتعالى عن مشابهات الحوادث .

والفرقة الناجية هى التى ترى أن التوحيد لون واحد ، لا كما يخترع السلف الطالح بأن التوحيد توحيدان : توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية ، فزعموا أن جميع المسلمين عبدوا غير الله لجهلهم توحيد الألوهية ، ولم يعرفوا من التوحيد إلا توحيد الربوبية ، وهو الإقرار بأن الله خالق كل شيء ، فزعموا أن هذا اعترف به المشركون ، وبذلك يهجمون على قلوب كثير من المسلمين ويحكمون عليهم بالشرك .

والفرقة الناجية هم السلف الصالح الذى يوقر النبى ﷺ ، ويشد الرحال لزيارة روضته الطاهرة ، ويسودونه فى الصلاة ، ويحتفلون بمولده ، ويتوسلون ويستغيثون ويتشفعون به ﷺ .

والفرقة الناجية هم السلف الصالح ، لا السلف الطالح الذى يعتقد أن مصطلحات القرآن الأساسية الإله والرب والعبادة والدين ، والذين ينادون بأن أصول الإسلام تتغير عند المصلحة ، وأن عصمة الأنبياء غير مستمرة ، وأن أصول الدين الخلافة والحكومة فقط .

والفرقة الناجية هى التى تعتقد بإمامة الأئمة من أهل البيت ، لأن أهل البيت هم المرجع الأصلى بعد النبى ﷺ لأحكام الله المنزلة ، فهم خزانة علمه ومعرفته ، وتراجم وحيه ، وأركان توحيده ، كما قال صلى الله عليه وسلم : « النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق ، وأهل بيتى أمان لأمتى من الاختلاف » وكما قال عنهم الرسول صلوات الله وسلامه عليه : « إنما مثل أهل بيتى فيكم كسفينة نوح

من ركبها نجا ، ومن تخلف عنها غرق » وكقوله : « وإنما آهل بيتى مثل باب حطة فى بنى إسرائيل من دخله غفر له » .

وزيادة على وجوب التمسك بأهل البيت يجب على كل مسلم أن يدين بحبهم ومودتهم ، قال تعالى : ﴿ **قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة فى القربى** ﴾[1] ولاشك أنه تعالى لم يفرض حبهم ومودتهم إلا لأنهم أهل الحب والوفاء لطهارتهم من كل ما يبعد عن دار كرامته ، وساحة رضاه ، قال تعالى : ﴿ **إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهلَ البيتِ ويطهركم تطهيرا** ﴾[2] .

وكما شد الكتاب الناس إلى الذهاب إلى إمامة العترة من أهل البيت شدت السنة كذلك فى قوله صلى الله عليه وسلم : « إنى تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتى أهل بيتى ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا أبدا ، ألا وإنهما لن يفترقا حتى يَرِدَا على الحوض » .

وهذا الخطاب يقصد به جميع الأمة ، كل جيل وكل عصر ، فأمر المصلح الأكبر صلوات الله وسلامه عليه بالتمسك بالثقلين ، وهما الكتاب والعترة ، لأن بهما الهداية والرشد للأمة — عمر الدنيا — ما استمسكت بهما ، فلا مناص أن يكون الكتاب خليفة لرسول الله ﷺ ، غير أن مداركنا قاصرة عن الوصول إلى هذه الكلية الواسعة فى كتاب الله ، فلا بد أن يكون له قوم يعرفون مدى مافيه ويعلمون ما حواه ، قال تعالى : ﴿ **وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون فى العلم ...** ﴾[3] .

---

(١) سورة الشورى آية ٢٣ .

(٢) سورة الأحزاب آية ٣٣ .

(٣) سورة آل عمران آية ٧ .

ولو أهمل الرسول ﷺ الإشارة والإرشاد إلى الراسخين فى العلم وأصحاب التأويل لساغ أن يزعم كل ناعق بضلالة أنه الراسخ فى العلم وصاحب التأويل ، فأبان صلوات الله عليه فى هذا الحديث أن عترته هم المقصودون بالثقل الثانى ، فالأئمة من أهل البيت هم الكتاب الناطق الكاشفون عن أسرار الكتاب الصامت .

وهذا الحديث ـ كما أرشدنا بدلالته إلى أن الهدى بعد الرسول صلوات الله وسلامه عليه بخليفتيه الكتاب والعترة ـ أرشدنا إلى استمرار ذلك الهدى مادام الإنسان ومادام كتاب وعترة ، فإن خالف المرء سيرهما اجتيازا ، أو تخلف عنهما نكوصا اعتصاما برأيه أو اتباعا لغيره لم يكن من المستمسكين ، بل كان من المنحرفين الزائغين .

وقد فسر الإمام الشافعى رضى الله عنه قوله تعالى : ﴿ **واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا** ﴾[1] أن حبل الله هو الولاء لأئمة أهل البيت فى الأبيات الآتية :

ولما رأيتُ الناسَ قَدْ ذَهَبَتْ بِهِمِ
مَذَاهِبُهم فى أبحُرِ الغَىِّ والجَهلِ

رَكبتُ علىٰ اسْمِ اللهِ فى سُفِنِ النجَا
وهُم أهلُ بيتِ المصطفىٰ خَاتِمِ الرُسل

وأمسَكتُ حَبلَ اللهِ وهو ولاؤهُم
كَما قد أُمِرْنا بالتَمَسكِ بالحبلِ

إذا افتَرَقَتْ فى الدين سبعون فرقة
ونيفا على ماجَاءَ فى واضح النقلِ

(١) سورة آل عمران آية ١٠٣ .

ولمْ يكُ ناجٍ منهمُ غيرُ فرقةٍ
فقل لى بها ياذا الرجاحةِ والعقلِ
أفى الفرقَةِ الهُلاكِ آلُ محمدٍ؟
أم الفرقة اللاتى نَجتْ منهمو ؟ قلْ لِي
فإن قَلتَ فى الناجين فالقول واحدٌ
وإن قلت فى الهُلاكِ حِفتَ عن العدِل
إذا كانَ مولىٰ القوم منهم فإننى
رَضيتُ بهم لازال فى ظِلهم ظِلى
رضيتُ عليا لى إماماً ونسلَه
وأنتَ من الباقينَ فى أوسعِ الحِل

ولعلك تسأل : لم ذكر الإمام أبو العزائم موضوع أضرحة الأنبياء والأولياء فى كتابه : (الفرقة الناجية) ؟ .

إن السبب فى ذلك يرجع إلى أن الفرقة الناجية هى التى تعتقد أن أضرحة الأنبياء والأولياء من الشعائر الإسلامية ، وجامعات للتربية والسلوك ، ولذلك فإن الدروس المستفادة من زيارة أضرحة هؤلاء المجاهدين هى الجهاد فى سبيل الكمال ، فنجاهد أنفسنا ضد الهوى والجشع والطمع والحقد والحسد والطغيان والجبروت والبطش حينما نتمثل هؤلاء المجاهدين فى حياتهم ، فنأخذ منهم العزيمة التى لا تقهر ، والإرادة التى لا تغلب ، والشجاعة التى لا نحسب أن شجاعة فى الدنيا تعلوها ، وإليك نماذج من الدروس المستفادة من زيارة هؤلاء المجاهدين :

كتب الإمام الغزالى إلى ابن تشفين ملك المغرب فقال له :

« إما أن تحمل سيفك فى سبيل الله ونجدة إخوانك فى الأندلس ، وإما أن تعتزل إمارة المسلمين حتى ينهض بحقهم سواك » .

ويقول محيى الدين بن عربى للملك الكامل حينما تخاذل فى قتال الصليبيين :

« إنك دنىء الهمة ، والإسلام لن يعترف بأمثالك ، فانهض للقتال أو نقاتلك كما نقاتلهم » .

ويطغى المماليك فى أرض مصر ، فيثور العز بن عبد السلام ، ويأمر بالقبض على المماليك ، ويعلن أنه قد اعتزم بيعهم فى سوق الرقيق لأنهم خانوا الأمانة .

ويقول عبد الملك بن مروان ــ الخليفة الأموى ــ لابن البيطار فى غطرسة الملك وغروره : « أنا عبد الملك ، فارفع حوائجك إلىَّ ، فيقول له فى عزة المؤمن وكبرياء الصوفى : وأنا أيضا عبد الملك ، فهلم نرفع حوائجنا إلى من أنا وأنت له عبدان » .

ويقول الإمام الشعرانى : « من لبس جديدا أو أكل هنيئا وضحك فى نفسه أو سعد فى بيته ــ والأمة الإسلامية فى كرب وشدة ــ فقد برىء منه الإسلام » .

تلك هى المبادىء التى ندرسها ، والتعاليم التى نسير على هديها عند زيارتنا لأضرحة الأئمة ، وهى لاشك أنها صفوة مبادىء الإسلام وأسمى نواحيه .

فنحن نزور مراقد الأنبياء والأولياء لنتذكر عندها أن هؤلاء مؤمنون ، اضطلعوا بوقائع مجتمعاتهم ، وحقائق الرسالة المحمدية ،

فتحملوها وأدوا ما تحملوه عبر حياتهم ، فنقتدى بهم ، ونتأسى بجهادهم .

نحن نزور مراقد الأنبياء والأولياء لنؤكد أن الذى لايطلع على أحداث أمته ، ولا يتحمل مسئوليات مجتمعه ولا يؤدى رسالته ؛ ليشترى ثمنا قليلا من دينار أو ريال أو درهم ينطبق عليه قول الله تعالى : ﴿ **إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا أولئك ما يأكلون فى بطونهم إلا النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم** ﴾[1] .

نحن نزور مراقد الأنبياء والأولياء لنتعلم أن هؤلاء رأوا الانحرافات فى عالمنا الإسلامى على مر العصور والدهور ، فلم يواجهوها بالخطب المنبرية فحسب ، بل بتأجيج نار الثورة على تلك الانتكاسات والردات فى حياة الأمة الإسلامية ، حتى إذا ما لقوا الله على ذلك كان موتهم رعبا لأقسى الجلادين قلبا ، وإسهاما فى بلورة الوعى الثورى لهدم الطغيان ، وهم يرتلون قول إمام المجاهدين الحسين عليه السلام : « من لحق بى فقد استشهد ، ومن لم يلحق لم يبلغ الفتح » .

نحن نزور مراقد الأنبياء والأولياء لنسجل أن وحدانية الدينار والريال والدرهم وثنية مشركة ، وأن هؤلاء المجاهدين عملوا على إزالتها لتحقيق (لا إله .....) وأن العدالة والحرية والأمن والمساواة كلمات لا معنى لها إلا فى ظل « .... إلا الله » ليعيش الناس فى المجتمع الإسلامى كأسنان المشط بعضهم أولياء بعض .

---

(١) سورة البقرة آية ١٧٤ .

نحن نزور مراقد الأولياء لنتعلم أن هؤلاء خافوا على الإسلام ولم يخافوا من الإسلام ، لأن الخوف من الإسلام يفضى إلى الهرب الذى بدايته الضياع ونهايته العار ، أما الخوف على الإسلام يحتم الدفاع عن الإسلام والهجوم على أعدائه .

نحن نزور مراقد الأنبياء والأولياء لنقتدى بهم باعتبارهم شرعا محمديا ، ولطفا إلهيا ، لا مناص لمن ينشد الخير والسعادة إلا باتباع سيرتهم وعلومهم وجهادهم ، إيماناً وعملا ، مهما بلغ الثمن .

نحن نزور مراقد الأنبياء والأولياء لنتأسى بهؤلاء الذين لم يتذوقوا من الحياة إلا مرارة ضياع القيم والموازين ، فاقتحموا الساحة ليكونوا نماذج للمجاهدين ، فنركل بأقدامنا حياة الذل والهوان ، ونطبع على جبهة المجد غرة النصر ، ونلبس إكليل الشهادة .

نحن نزور مراقد الأنبياء والأولياء لنقتدى بهؤلاء الذين أقدموا حين أحجم علماء الدنيا الجهلاء بالآخرة ، وفرسان كهانة التكفير والتشريك ، ولنتأسى بهؤلاء الذين أعطوا حيث يمتنع الأسخياء فى المواعظ المتشدقون بالسلفية ، ولنتأسى بهؤلاء الذين جاهدوا فى سبيل الله فى الوقت الذى قال عبيد الدينار والريال والدرهم : « .... **إنا ها هنا قاعدون** »[1] .

إن سر عظمة هؤلاء أن أرواحهم حملت قيمهم التى آمنوا بها ، وضحوا من أجلها ، فكان حقا على تلك القيم أن تحمل أرواحهم إلى

---

(١) سورة المائدة آية ٢٤ .

آفاقها الرحبة ، لتبقى هذه الأرواح متألقة ، تطل من سماواتها على زائريها من عشاق الجهاد .

ولا أحب أن أطيل على القارىء الكريم وقفته على الباب ، ولأخلى بينه وبين الكتاب ، سائلا المولى سبحانه وتعالى المزيد من الأجر ، وأن يرزقنا شفاعة سيدنا رسول الله صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وأن يوفقنا لما فيه الخير والصلاح .

إنه تعالى ولى القصد والتوفيق .

شيخ الطريقة العزمية
السيد عز الدين ماضى أبو العزائم
المحامى بالنقض

دار الكتاب الصوفى
فى يوم الاثنين
١٦ ربيع الأول ١٤١٣ هـ
١٤ سبتمبر ١٩٩٢ م

التماس الطبعة الأولى
١٣٥٢ هـ - ١٩٣٣ م
للامام الممتحن
السيد أحمد ماضى أبى العزائم

الحمد لله حمدا كثيرا يرضى الله ، والشكر لله من عبد جمله الله بنعم لا تحصى ، ووهب لنا من فضله العظيم ، ما لا يعد ولا يستقصى ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله الأطهار ، وصحابته الأخيار ، ورضى الله تبارك وتعالى عن حجة الإسلام والمسلمين الإمام المجدد السيد محمد ماضى أبى العزائم .

وبعد ، فيقول **أحمد ماضى أبو العزائم** : إنى لما رأيت تعدد الفرق الإسلامية - وخاصة فى زماننا هذا - وأن الرسول صلوات الله وسلامه عليه تنبأ بوجود هذه الفرق فقال : « ليأتين على أمتى ما أتى على بنى إسرائيل ، تفرق بنو إسرائيل على اثنتين وسبعين ملة ، وستفترق أمتى على ثلاث وسبعين ملة ، تزيد عليهم ملة ، كلهم فى النار إلا ملة واحدة ، قالوا : يا رسول الله من الملة الواحدة التى لاتنقلب ؟ قال : ما أنا عليه وأصحابى » .

لذلك التمست من والدى الإمام المجدد السيد محمد ماضى أبى العزائم أن يكتب لنا فى الفرقة الناجية ، فأملى رضى الله عنه هذا الكتاب ، بين فيه أنس وتخلق أهل الفرقة الناجية ، ولم يزور أهل الفرقة الناجية قبور أولياء الله الصالحين ؟ كما بين رضى الله عنه صفات

أهل الفرقة الناجية عامة بأنهم هم الذين باعوا أنفسهم وأموالهم بجنته ، فى قوله تعالى فى سورة التوبة : ﴿ **إن الله اشترى من المؤمنين أنفسَهم وأموالَهم بأن لهم الجنةَ يقاتلون فى سبيل الله فيَقْتُلون ويُقْتَلون وَعْداً عليه حقا فى التوراةِ والإنجيلِ والقرآنِ ومن أوفى بعهدِه من الله فاستبشروا ببيعِكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوزُ العظيمُ** ﴾[1] .

ونسأل : إن الله خالق الأنفس ، ورازق الأموال ، فكيف يشترى المالك ما هو ملك له ؟ ! الجواب : ليس هذا بالشراء المعروف ، وإنما حث وترغيب فى الطاعة ، وعبر سبحانه عنه بالشراء لأمرين :

الأمر الأول : أن يثق المطيع بالجزاء والثواب على طاعته ، تماما كما يثق البائع باستحقاقه الثمن بدلا عن سلعته .

والأمر الثانى : التنبيه إلى أن الإيمان ليس مجرد كلمات تمضغها الأفواه ، وصورة تمر بالأذهان ، وعاطفة تحس بالقلوب ، إنما هو بذل وتضحية بالنفس والمال رغبة فى ثواب الله الذى هو أغلى وأبقى ، تماما كما يتنازل البائع عن ملكه مختارا طمعا فى الثمن الذى يراه أنفع وأجدى .

ثم حدد رضى الله عنه أهل الفرقة الناجية بأنهم ﴿ **التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون**

---

(١) سورة التوبة آية ١١١ .

بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين ﴾[1] .

والله سبحانه أسأل أن يتقبل عملى فى نشر هذا الكتاب ، ويجعل أجرى عليه نفع المؤمنين وهدايتهم به .

---

(١) سورة التوبة آية ١١٢ .

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله ولى المؤمنين يخرجهم من الظلمات إلى النور ، القائل سبحانه وتعالى : ﴿ **إنا نحن نزلنا الذِّكْرَ وإنا له لحافظون** ﴾[١] فما من حدث من الأحداث يحدث ، أو بدعة من البدع تنشر ، إلا وهو جل جلاله يجدد للأمة أمر دينها ، بمن يقيمهم فى كل زمان لإقامة حججه ، كما قال أمير المؤمنين علىّ عليه السلام : « اللهم لا تخل الأرض من قائم لك بحجة ، إما ظاهرا مشهورا أو باطنا مستورا ، لئلا تبطل حجج الله وبيناته » .

والصلاة والسلام على من ختم الله به النبوة ، وبعثه للناس كافة بشيرا ونذيرا ، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا ، فبلغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، وأسرج الله به صلى الله عليه وسلم سرجا كثيرة فى كل زمان ومكان ، كما قال عليه الصلاة والسلام : (العلماءُ سرجُ الدنيا ومصابيحُ الآخرة) صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا ، وبعد .

فيقول خديم الفقراء **محمد ماضى أبو العزائم** : أسأل الله أن يقيمنى فى محابه ومراضيه ، وأن يعيذنى سبحانه من الشيطان الرجيم ، ومن خبث طبعى ، وسوء أمّارتى بالسوء ، وشر جوارحى المجترحة ، آمين .

---

(١) سورة الحجر آية ٩ .

إنى لما رأيت آثار سلفنا الصالح قد خفيت على أهل عصرى ، لكثرة اشتغالهم بما صار ضروريا الآن ـ مما كان كماليا قبل هذا العصر ـ ورأيت السالكين فى هذا العصر قد طالت عليهم الشقة ، واشتدت المشقة لشغل القلوب بما عليه أهل هذا الزمن من الميل إلى زخرف الحياة الدنيا وزينتها ، وبما اعترى سواد الأمة من الاختلاط بغير المسلمين فى المعاملات ، ومن تقليد الناس لمن حصلوا العلم ولم يعملوا به ، أو عملوا من غير علم ، وعلم بلا عمل وبال ، وعمل بلا علم ضلال .

وقد بين لنا رسول الله ﷺ أن الأمة تفترق إلى بضع وسبعين فرقة ، فرقة منها ناجية ، وهى التى تكون على ماكان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه وبقية الفرق هالك .

دعانى واجب وقتى أن أكتب رسالة أسميها : (الفرقة الناجية) أجمع فيها ماكان عليه السلف الصالح فى تلاوة القرآن المجيد ، وفى عبادة الله تعالى ، وفى المعاملة ، وفى الأخلاق ، ولا أخليها من الإشارة إلى ما كانوا عليه من أعمال القلوب ، وقد كتبت فيها تفسيرا مسهبا لآية من كتاب الله جامعة للمقامات التى ينالها المؤمن ، وإنى أسأل الله تعالى أن يؤيدنى بروح منه ، وأن ينفعنى بما أجمعه فيها من آثار سلفنا الصالح ، وأن ينفع بها السالكين إلى الله تعالى .

وقد أمرت ولدى أحمد أن يطبع تلك الرسالة ، لينفع الله أهل عصرى هذا بما كان لسلفهم ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم .

الباب الأول

الفرقة الناجية

الفصل الأول

أنس وتخلق أهل الفرقة الناجية

أنسهم بالقرآن المجيد :

القرآن المجيد موردهم الروى ، وروضهم الجنى ، وحوضهم المورود ، وكوثرهم المشهود ، وميزان أحوالهم ، ومرجع مقاماتهم . يسألونه قبل العمل فإن أذن سارعوا ، وإن منع تركوا واستغفروا ، فهو الإمام الناطق وإن صمت ، لأنهم يسمعونه عن رسول الله ﷺ ، فهو الناطق لهم ﷺ على ألسنتهم به ، فتسمعه آذان قلوبهم حضورا ووجودا من حضرة رسول الله ﷺ ، وإن كان التالى له إنسانا آخر .

مراتب الهداية :

ولا تعجب أيها السامع ، فإن للرجال أعظم قسط من مراتب الهداية التى أشار الله تعالى إليها بقوله سبحانه : ﴿ **اهدنا الصراط المستقيم** ﴾(١) فإن مراتب الهداية ــ وإن جلت أنواعها عن الحصر ــ أصولها عشرة :

---

(١) سورة الفاتحة آية ٦ .

أولها كلام الله مشافهة للعبد[1] ، كما حصل لرسول الله ﷺ ، وكما حصل للكليم عليه الصلاة والسلام ، ووحيه الذى يوحيه بنفسه لعبده[2] ، ووحيه سبحانه وتعالى بطريق الملك[3] ، ثم التحدث لقوله صلى الله عليه وسلم : « إن منكم محدثين وإن عمر منهم » ، ثم الإلهام بمراتبه ، وأقلها الرؤيا الصادقة التى هى بعد مقام الإسماع والفراسة والفهم .

ولما كان لرسل الله صلوات الله وسلامه عليهم من مراتب الهداية مقامات خصوا بها على نبينا وعليهم الصلاة والسلام ؛ واشترك الرجال معهم فى بقيتها ؛ كان لأهل الفرقة الناجية قسطا وافرا من الوحى بملك الإلهام ، ولا تنزعج أيها السامع ؟ فإن الله أوحى إلى أم موسى ، وأوحى إلى النحل ، وأوحى إلى الأرض ، وهؤلاء يتجلى لهم الحق سبحانه فى كلامه فتسمعه قلوبهم عنه سبحانه ، ويبلغ بهم القرب إلى فهمه كما ورد عن علىّ بن أبى طالب كرم الله وجهه حين سئل ؟ فقال : أو فهم يعطاه عبد مؤمن فى كتاب الله .

فلتالى القرآن حق تلاوته ، قسط وافر من مشاهد أسراره ، وفهم حقائقه ، وذوق معانيه ، وأهل الفرقة الناجية هم الذين قال الله تعالى فيهم : ﴿ **يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلمَ درجات** ﴾[4] .

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ وكلم الله موسى تكليما ﴾ . سورة النساء آية ٦٤ .

(٢) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ فأوحى إلى عبده ما أوحى ﴾ . سورة النجم آية ١٠ .

(٣) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ نزل به الروح الأمين على قلبك ﴾ . سورة الشعراء آية ١٩٣ ــ ١٩٤ .

(٤) سورة المجادلة آية ١١

وقفت بهم الهمة العلية على القرآن ، فأحلوا حلاله ، وحرموا حرامه ، لو أمرهم بقتل أنفسهم لقتلوها ، أو بمفارقة أموالهم وأولادهم لفارقوها فرحين بالسمع والطاعة ، تجلت لهم حقائق القرآن جلية ، وانبلجت لهم أنواره العلية ظاهرة ، فلم تبق لهم همة إلا فى القرآن ، ولا رغبة إلا فيه ، أحبوا القرآن حبا ينبىء عن كمال حبهم للمتكلم سبحانه .

كاشفهم الله تعالى بمراده فى كلامه وبحكمته فى أحكامه ، فكان سبحانه وتعالى أقرب إليهم من أنفسهم ، وتجلى لهم سبحانه وتعالى فى كلامه العزيز ؛ حتى كان الرجل منهم إذا سئل : لم تعمل هذا ؟ يقول : أمرنى القرآن ، ولم تترك هذا ؟ يقول : نهانى القرآن ، وإذا طلب منه أمر يقول : مه حتى أستشير القرآن ، فيقرأ القرآن المرة والمرتين حتى تتضح له حقيقة ماله ، وسر قصده ، فيسارع للتنفيذ أو للترك .

آنسهم الله بجماله ، وجذبهم إليه سبحانه بعامل محبته ، فكانوا مع الله وهم فى تلك الدار الدنيا ، مع ما يحيط بهم من كثيف الحجب وظلمات الأهواء ، فكيف بهم إذا فارقوها إلى دار القرب والشهود ، ومنزلة الود والمواجهة ؟ . سبحان الله ، هم الرجال حقا ، وهم أئمة أهل الفرقة الناجية الذين بشر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله : « لا تزال طائفة من أمتى قائمة على الحق حتى يأتى أمر الله وهم عليه لا يضرهم من خالفهم » وقوله صلى الله عليه وسلم : « أبقيت فيكم ثقلين لن تضلوا بعدهما : كتاب الله وأهل بيتى » والمراد بأهل البيت حملة العلم بالله سبحانه وتعالى ، الذين كاشفهم الله تعالى بظاهر القرآن وباطنه وحده ومطلعه ، ممن جملهم الله بحقيقة النسب المحمدى الروحانى بدليل قوله صلى الله عليه

وسلم : « سلمان منا آل البيت » وتبنيه صلى الله عليه وسلم زيدا رضى الله عنه ، وقوله صلى الله عليه وسلم : « أدخل الإسلام بلالاً فى نسبى » .

وخير الناس من اصطفاهم الله تعالى فجملهم بالنسبين ، واختارهم لأن يكونوا ورثة لخاتم رسله وأنبيائه صلى الله عليه وعليهم .

أهل القرآن ومنزلتهم :

فالفرقة الناجية هم أهل القرآن ، وهم المعنيون بقوله صلى الله عليه وسلم : (أهل القرآن أهل الله) وهم أهل الله الصالحون الذين اتصل نسبهم بربهم باتصالهم بحبل الله المتين الذى هو القرآن المجيد ، ومن ذاق حلاوة القرآن وصل إلى الله بأقوى سبب ، وصلا لا ينقطع بعده ، فإن القرآن صفة من صفات الله ، ومن اتصل بصفة من صفات الله تعالى اتصل بالله تعالى ، لأنه بتلاوته لكلام الله ــ ملاحظا أنوار المتكلم عاملا بالقرآن ــ يتصف بالكلام ، والله متصف بالكلام .

وأكمل ما يتقرب به إلى الله سبحانه وتعالى التخلق بأخلاقه ، فإن الله سبحانه وتعالى يحب صفاته ، ويحب مقتضياتها ظاهرة فى عبده ، وأحب عبد لله من جمله الله بما يحب من صفاته سبحانه ، وجعله مظهرا لإشراق أنوار مقتضياته .

وتالى القرآن جمله الله تعالى بصفة من صفاته العلية ، والعامل بالقرآن كمله الله تعالى بأنوار مقتضيات صفاته ، فالله سبحانه وتعالى

المعبود ، والمتمسك بالقرآن هو العابد ، والله جل جلاله الهادى ؛ والعبد هو المهتدى ، والله سبحانه المَوفِّق ؛ والعبد هو المَوفَّق .

فكأنه اتصف بالصفات المحبوبة لله تعالى (وهى الكلام) لتلاوته للفظه فهو متكلم فى مكانته ، لأن الكلام لابد وأن يكون بصوت وحرف ، وهناك جامعة تجمعه بربه ووصلة .

جمعتنا على حبيب القلوب   سابقات الحسنى بسر الغيوب

فهو متصف بأجمل صفة يحبها الله سبحانه وتعالى ، والمتصف بصفة يحبها الله تعالى يحبه الله تعالى ، وبعمله بالقرآن يكون عاملا بعمل يحبه الله تعالى ، والعامل بعمل يحبه الله تعالى محبوب لله تعالى .

فالقرآن طهور الحب ، وحلل القرب ، ولا يوفق للعمل بالقرآن إلا من جذبته العناية واقتطعته المشيئة ، واختطفته محبة الله السابقة له ، وأهل الفرقة الناجية هم الذين يتعهدون القرآن حق تعهده ، ويتلونه حق تلاوته ، تبلغ بهم حالتهم فى تلاوتهم أنهم يكاشفون بأنوار مجالستهم للمتكلم سبحانه ، سر قوله صلى الله عليه وسلم : (يقول الله تعالى : أنا جليس الذاكرين) ولأجل أن تسارع يا أخى إلى التجمل بأحوالهم أفصل لك ما كانوا عليه من تعهد القرآن المجيد ، والقيام بتلاوته حق التلاوة :

تخلقهم رضى الله عنهم بالقرآن :

يقرأ المؤمن القرآن متدبرا ، فيتحقق منه فى القسم الإلهى بالعلم النافع ذوقا وحالا ، فإذا قرأ أخبار الرسل السابقين عليهم الصلاة والسلام نظر بعين فكرته ، وشهد ببصر عبرته ما أدى إلى غضب الله

فاجتنبه ، وما أدى إلى رضوان الله فجاهد نفسه أن يتخلق به ، ثم نظر إلى ما كان عليه رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم ، من الصبر على مالا تتحمله القوى البشرية ؛ فيصبر عند المقتضيات على قدر منزلته ، تشبها بهم صلوات الله وسلامه عليهم ، وما كانوا عليه من الرحمة بالخلق والحرص والغضب لله عند مقتضاه ، والغلظة على أعداء الله عند لزومها ؛ فيجاهد نفسه أن يتشبه بهم عليهم أفضل الصلاة والسلام فيما يعتوره من الشؤون المناسبة لمكانته .

ثم يجتهد أن ينبه إخوته المؤمنين على الأعمال التى أوعد القرآن فاعليها بسوء العاقبة ، بالحكمة والموعظة ، وينشط العاملين إخوته بما مدحه القرآن من الأعمال ، ويمدحهم مدحا يقوى به الإيمان فى قلوبهم ويشجعهم على ذلك ، ثم يتدبر آياته فى الأحكام الشرعية ، ويتحقق أن هذا الأمر من الله تعالى خاصا به دون غيره ، فيسارع إلى تنفيذ ما أمر الله به عند الاستطاعة ، غير ناظر إلى غيره ـ ولو أهمل وترك ـ فإن المرء المؤمن أشفق الناس على نفسه وأرحم الناس بها ، فيرى أنه أولى بنيل الخير الأبدى من كل الخلق .

ما يجب على تالى القرآن :

فمتى فهم من القرآن أمرا بمعروف ؛ أو تنبيها بفعل خير ؛ أو ترغيبا فى عمل صالح سارع إليه كائنا ما كان وترك غيره ، حتى إذا أعانه الله تعالى على فعل الخير واطمأن على نفسه بالقيام به حق القيام ، فالأولى له بعد ذلك أن يرشد إخوته المؤمنين .

وإن أهمل القيام بما علم ، وقام فنظر إلى إهمال الخلق ولم ينظر إلى عيوب نفسه وتقصيرها ، كان ذلك سببا فى هلاك نفسه ، وكان

كالشمعة تضىء لغيرها وتحترق ، وإنما يقرأ المؤمن القرآن ليتجمل بطيالسه ، ويتجمل من طهوره المختوم ويتجمل بجماله ، ويتناول من شهيه قوتا لقلبه ، وغذاء لروحه ، وطعاما لنفسه .

ومن علامة الغفلة أن يقرأ الإنسان القرآن ثم يسخط على الناس ، ويقول : هلك الناس .. وهو فى الحقيقة الهالك . أنت أيها القارىء للقرآن عليك أن تسارع إلى نجاة نفسك ، وما عليك من غيرك ، فإذا تجملت بجمال القرآن وأطاعتك نفسك كنت داعيا إلى الحق بعملك قبل قولك ، وبقولك قبل مالك ، وأشرقت منك أنوار القرآن على أهل القرآن ، فكنت بينهم كالشمس المشرقة يهتدون بنورك ، ويستضيئون بقولك وعملك .

الحضور الكلى لحاملى القرآن :

إذا سمعت ربك سبحانه يقول : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا** ﴾ فاستجب لربك وقل : لبيك ربى وسعديك ، واصغ بأذن قلبك إلى ما يقوله ربك ، فإن أمرك فسارع إلى السمع والطاعة ، وانظر بعين بصيرتك إلى نفسك فأنت أرحم الناس بها ، وقم فخلصها من خطاياها وهواها ، وغض بصرك عن غيرك ، فإنما أنت المنادّى بنفسك من ربك ، والمنادِى هو الله لا أنت .

فاستجب لله أولا ، ثم قم مناديا بنداء ربك ، لأنك عملت بما أمر .

فإذا تلوت الآية التى فيها الثناء من الله والبشائر منه سبحانه ؛ فتدبرها ببصر ناقد وقلب يفقه ، وتمثل قدر الثناء من الله تعالى الذى تسارع إليه الأرواح الطاهرة ، وجاهد نفسك كل المجاهدة أن تلتحق

بمن أثنى الله عليهم ، أو تتشبه بهم فتكون ممن أثنى الله عليهم وتشبه بهم . وأى مجد أعظم درجة من مجد من أثنى الله تعالى عليه .

ثم تأمل فى الأعمال التى بشر الله عليها عباده ، ونافس فى أن تكون ممن بشرهم الله تعالى كما قال الله تعالى : ﴿ **وفى ذلك فليتنافس المتنافسون** ﴾[1] ثم تنبه عند تلاوة الآيات التى يذكر الله فيها النعيم الذى أعده لعباده المؤمنين ، والخير الذى جعله لهم عند ذكر الجنة ووصفها وبيان ما فيها مما تشتاق إليه النفوس ، وتبذل لأجله كل نفيس وغال ، فإذا قرأت تلك الآى فتمثل بخيالك تلك الملاذ الجسمانية النفسانية ، والنعم العظمى التى لا نصب بعدها ولا زوال لها ، وتدبر ما تناله فيها من مشاهدة وجه ربك جل جلاله ، ونيل رضوانه ، ومجاورة رسله الكرام وأهل محبته من صفوة عباده ، واستسهل كل ما يوصل إليها فى نظرك ، وانظر إليه حقيرا بالنسبة لها ولو كان فى ذلك بذل المهج ـ فضلا عن الأولاد والأموال ـ فإن نَفَساً فى الجنة خير من الدهر كله فى أكمل نعيم الدنيا .

وكيف لا ؟! ومهما كمل نعيم الدنيا فذكر الموت ينغص ، وكل لذة تنقلب ألما إذا تذكر الإنسان سوء عاقبتها ، وكل ما رغبت نفسك فيه فهو مشوب بالأوصاب والبلايا التى ينالها الإنسان فى جمعه وما يقتضيه جمعه من ضرر الغير .

---

(١) سورة المطففين آية ٢٦ .

فشتان بين نعيم مقيم فى جوار رب العالمين وفى أمانه ورضوانه الأكبر ، وبين ما لا ينال إلا بالمضار والأوصاب ، ولا دوام له وعاقبته العذاب ، لعلك إذا تخيلت تلك المعانى فى تلاوتك ظهرت لك الجنة جلية فشهدت ما فيها حتى كأنك على أبوابها ، فقبحت فى عينك ملاذك ، واسترذلت حظوظك ، واستقبحت آمالك فى الدنيا ، واستنكفت أن تبيع النعيم الأبدى ورضوان الرب العلى بإرادة عاجل كله وصب يزول عن طالبه أو يزول هو عنه .

وليس المؤمن بكامل الإيمان إن لم يتحقق أنه يمشى على الصراط الذى هو أحَدُّ من السيف ، وأدق من الشعرة ، وأن الجنة فى نهايته فيسارع إليها ، وأن الحطمة تحت قدميه فيخشى أن ينكب فيها ، وأن أعماله فى الميزان فيحب أن يثقل بها .

ذلك لأن القرآن الشريف كرر تلك المعانى على المؤمن لتقوى الذكرى بها ، فتكون ذكرا فلا تنسى ، ثم يتصورها الخيال فتنطبع فيه بأكمل جمالاتها ، فلا تغيب عن النفس طرفة عين ، وقد سأل صلى الله عليه وسلم سيدنا عمران بن حصين فقال له : « كيف أصبحت ؟ فقال : أصبحت يارسول الله كأنى أرى عرش ربى وكرسيه ، فقال له صلى الله عليه وسلم : عرفت فالزم » .

فالمؤمن إذا قرأ آيات البشائر بالنعيم والرضوان بحث عن أهلها الذين يتفضل الله عليهم بهذا الفضل العظيم ، وفتش عن صفاتهم التى أثنى الله بها عليهم ، فسارع إليها ، ومسارعته إليها هى مسارعة إلى المغفرة والجنة والرضوان ، قال الله تعالى : ﴿ **وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس**

والله يحب المحسنين . والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على مافعلوا وهم يعلمون . أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها . ونعم أجر العاملين ﴾[1]فسارعوا إلى تلك الصفات التى ذكرها الله تعالى ؛ مسارعة من يعلم قدر النعمة التى ينالها ، والفضل العظيم الذى يفوز به ، والخير العظيم الذى يحظى به من الله تعالى ، ويكون فى عمله هذا كأنه فى أعلى الجنة تصديقا لوعد ربه ، وتلذذا بتوفيق الله له للعمل بما يحبه ، فيكون كأنه فى جنتين : جنة روحانية وهى بهجة نفسه بالتوفيق والعناية والهداية ، وجنة جسمانية وهى تلذذه بطاعة ربه فى تلك الدار الدنيا ، ويكون له جنتان يوم القيامة ، قال الله تعالى : ﴿ **ولمن خاف مقام ربه جنتان** ﴾[2] ، وهذا ما ينكشف لك يا أخى عند تلاوة آية البشائر والوعد .

فإذا أنت قرأت آيات الوعيد والعقاب ؛ اقشعر جلدك ، وظهرت لك جهنم بما فيها كما أخبر الله تعالى ظهورا يشيب لهوله الطفل ، ونار الحجاب عن الله بسبب الأخلاق والعقائد الباطلة التى تكب المرء على أم رأسه فى نار الغضب ، وهى أشد من نار جهنم لأنها المؤدية إليها . وتخيلت أن من فعل تلك الأعمال ، عذب بنارين : نار نفسانية ونار جسمانية . أما النار النفسانية فما يعلوه من الحزن والأسف ، وأما النار الجسمانية فما ابتلى به من معصية الله ، ويرى الجحيم أمامه

(١) سورة آل عمران آية ١٣٣ - ١٣٦ .

(٢) سورة الرحمن آية ٤٦ .

مكاشفه ، قال الله تعالى : ﴿ **كلا لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم** ﴾[1] .

فتصور يا أخى أعاذنى الله وإياك من الأعمال التى توجب غضب الله وسخطه وأليم العذاب يوم القيامة الذى توعد به الله المخالفين لوصاياه ، وارسمها على خيالك عند قراءة الآيات المقتضية لذلك ، ثم ابحث عن الأعمال والصفات والعقائد والأحوال التى تؤدى إلى هذا العذاب الأليم ، فاجعل بينها وبينك كما بين المشرق والمغرب ، واجعل لك حصنا منيعا من سنة مولانا رسول الله ﷺ ووقاية من العمل بهدى السلف الصالح ، وخشية من ربك جل جلاله يحفظك الله بها من الوقوع فى مخالفته جل جلاله .

وكن ياأخى كالرجل الجائع الذى إذا ذكر له الطعام تنبهت شهوة الجوع فى معدته لتخيله طعمه وريحه ، فإذا ذكرت آيات البشائر والنعيم تنبهت الرغبة فى قلبك ، وتباعدت عما يوجب الحرمان منها .

كرر الله تعالى قصص الأنبياء وأخبار الجبابرة ، وأحاديث المؤمنين فى كتابه ، لتتجمل عند التلاوة بكل تلك الأخلاق النبوية وتتباعد عن صفات الجبابرة الطغاة ، وتتشبه بمن أثنى الله عليهم ووعدهم الخير المقيم .

كن أنت ياأخى فى التلاوة المأمور ، والمنادى حتى تسمع كلام ربك من ربك جل جلاله ، وتتلقاه من حضرة رسول الله ﷺ ، فإذا قال ربك : ﴿ **وأقيموا الصلاة** ﴾[2]قلت : لبيك وسعديك ،

(١) سورة التكاثر آية ٥ - ٦ .
(٢) سورة البقرة آية ٤٣ .

سمعا وطاعة لك ياربى ، وإذا قال سبحانه : ﴿ **إنما الخمرُ والميسرُ والأنصابُ والأزلامُ رجسٌ من عملِ الشيطانِ فاجتنبوه لعلكم تفلحون** ﴾[1]. انكشفت لك حقيقة نجاستها ، وصارت أمامك أنتن من الجيفة ، وأشد ألما من النار ، وقلت : لاحول ولا قوة إلا بالله ، أعنى اللهم على ترك ما تكره والعمل بما تحب ، فتكون كأنك تخاطب ربك ويخاطبك ، ويتكلم معك وتتكلم معه ، ولا نقرأه كما ترجعه الآلة الحديدية ، وكما ترجعه الأمكنة الخالية بصدى الصوت فيحرم القارىء مشاهدة أنوار كتاب الله تعالى ، ويكون كأنه لم يقرأه أبدا .

ما أحب أن يكون عليه إخوانى فى التلاوة :

أحب أن تكون التلاوة فى المصحف ـ ولو لحافظ ـ ليكون عاملا بعينه ولسانه وقلبه وأذنه ويده ، وأن يكون على طهارة ، مستقبل القبلة ، أحب أوقاته إلىّ بعد ارتفاع الشمس وبعد العصر ، وفى جوف الليل إلى الفجر الصادق ، وأن يكون التالى مستحضرا أنه المخاطب بالأمر أو النهى ، أو الموعظة والعبرة ملاحظا فى ذلك أن التالى آخر حسب منزلته من المراقبة إما أن يكون المرشد ، أو رسول الله ﷺ ، حتى يتحقق بمقام العبد الكامل ، فيسمعه عن الحق جل جلاله ، ويراقب فى تلاوته أن المطالب هو نفسه لا غيره ، ويشهد ما شنع الله به على أعدائه فيتصور أن الله قد يشنع على من يعمل هذا العمل ، وربما يكون حصل منه فيندم ويتوب ، ويرجع إلى الله ويبدل تلك السيئة بحسنة ، إذا سمع الله يمدح قوما يثنى عليهم بصفاتهم ؛ فإن كان متصفا بتلك الصفات فرح ، وسأل الله سبحانه أن يقبل منه

---

(١) سورة المائدة آية ٩٠ .

تلك الأعمال غير ساكن إلى نفسه ولا إلى عمله ، بل يشكر الله تعالى الذى وفقه لعمل ما يحبه .

وأحب أن تكون تلاوة القرآن ملاحظا فيها معان ثلاثة :

١ — بهجة بتلاوة كلام ربه جل جلاله .

٢ — والعزم الأكيد على التباعد عما نهى عنه القرآن ، والمسارعة إلى عمل ما أقر به .

٣ — المعنى الثالث : أن يشهد عظمة وجلال وكبرياء وعزة المتكلم سبحانه ظاهرة جلية لعيون سره ، فيكون تاليا لكتاب الله متلقيا عنه سبحانه ، متشرفا بمعيته جل جلاله .

ويلزم لتلك المعانى الثلاثة أصل هو أس تلك المعانى كلها ، وهو أن يرتله مخلصا لوجه الله تعالى ، لا لغرض آخر إلا ابتغاء وجه الله العظيم ، فإن كان له مطلب أو حاجة سأل الله تعالى بعد تلاوته حاجته ، فإن الله تعالى أكرم من أن يتقرب إليه عبده بكلامه ويدعوه فيرده من غير أن يستجيب له ، وكذلك كان أصحاب رسول الله وتابعوهم رضى الله عنهم أجمعين ، ومن لم يجد فليتواجد .

ومدارسة القرآن مع أخ معين أحب إلىّ ، فإذا واجهك الله حال التلاوة بشىء من أسرار القرآن فسارع إلى العمل به ، أو قيده بالكتابة ، والله سبحانه أسأل أن يتجلى لنا فى كلامه المقدس حتى نكون من أهل القرآن العاملين به ، إنه مجيب الدعاء ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

أعمال الغافلين :

معلوم آن الجلوس لسماع القرآن من حافظ يتلوه من السنة ، وقد سمعه صلى الله عليه وسلم من أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه ، وعجب أبو موسى عندما طلب منه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : (أُسمِعُك يارسولَ الله وعليك نزل ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : إنى أُحبُّ أن أسمَعَه من غيرى) ، ولا إنكار على من اجتمعوا وبينهم حافظ يسمعهم كلام الله تعالى ، إذا استحضروا بقلوبهم أنهم يسمعون كلام الله جل جلاله ، وأصغوا إليه إصغاء يليق بآداب من يسمع كلام الله تعالى ، ملاحظين ما قدمته .

ولكن المنكَر ما أبدعه أهل الغفلة من اجتماعهم على قارىء يسمعون صوته ويجهلون قدر الخطاب ، فتراهم يسمعون آيات الوعيد للعصاة ، والزجر عن أفعال الشر ، والتشنيع على فاعل الفحشاء ـ مما تذوب له الأكباد وتقشعر له الجلود ـ فيصيحون مبتهجين بلذة النغم غافلين عن معنى الخطاب ، وإذا قرأ القرآن أمامهم من لا يحسن التوقيع ، أو كان ردىء الصوت ، صرفوا وجوههم عنه ، كأنهم لم يسمعوا كلام الله ، وذلك من غفلة قلوبهم وجهلهم بقدر القرآن الشريف ، وإن ذلك لمن أكبر المنكرات .

عمل الناس فى أحزانهم وأفراحهم :

لم يكن فى عهد السلف الصالح الاجتماع فى الأحزان على قارىء ، ولا فى الأفراح ، وهى بدعة ، ولكن لابد لوضعها من سر ، والغاية تبرر الوسيلة ، فإن كان المراد بهذا العمل تنبيه القلب بكلام الله تعالى ليصبر المصاب ، ويفوض أمره إلى الله ، ويرضى بقضاء الله : فهى

بدعة حسنة ، والبدعة الحسنة فى حكم المرغب فيه ، وقد تكون مؤكدة لمحو البدع المضلة ، فإن المصابين قد يجتمع عليهم الناس فيعملون أعمالا تغضب الله وتعذب الميت ، فإذا سمعوا كلام الله لانت قلوبهم وخشعت من خشية الله ، ورضوا عن الله ، وكفى بالقرآن واعظا .

وكذلك فى الأفراح ؛ فإن الناس يتغالون فى أفراحهم ، وقد يرتكبون الآثام لما يعرو القلب عند نشوة الفرح ، من الغفلة الموجبة للفخر والرياء والخروج عن الاعتدال ، فإذا جلس بينهم قارىء للقرآن وأصغوا إليه اقشعرت جلودهم ، وتحققوا أن الدنيا دار فانية ، وأن اللذة الحقيقية فى الجنة ، فامتنعوا عن الإفراط والتفريط .

هذا العمل إن كانت الغاية منه ما قررته ، فهو ـ وإن لم يعمل به فى السلف الصالح ـ فهو فى زماننا هذا يكاد أن يكون مؤكدا ، فإن كانت الغاية منه الفخر والرياء وسماع الأصوات والألحان ، فهو المنكر حقا ، ولا يليق بمؤمن أن يعمل منكرا فى أحزانه وأفراحه ، فإن المؤمن فى أحزانه مضطر إلى الله تعالى ، وفى وقت أفراحه منعم عليه ، يجب عليه أن يشكر الله ليديم له الفرح ، فإن عصى الله فى حزنه ، وعصى الله فى فرحه ، عرض نفسه للبلاء .

القراء فى الأفراح والأحزان :

إذا تحققوا بأن قراءتهم لتذكير عباد الله ، ويقظة قلوبهم ، وإعانتهم على الصبر عند البلاء والشكر عند الرخاء ، فهم دعاة إلى الخير ، إلا أنه يجب عليهم أن ينووا بالقراءة التقرب إلى الله تعالى ، فإذا أعطاهم الله رزقا على يد من دعاهم للقراءة قبلوه بصفة صدقة ، حتى يكون

لهم أجر ، ولمن ساعدهم الله على يده أجر . فإن لم تكن لهم نية ، أو نووا بذلك سرور الناس لسلب أموالهم ، كانت بدعة منكرة يأثم بها التالى ؛ والسامع الذى لم تكن له نية .

قراء المولد والمدائح النبوية :

هؤلاء ــ وإن لم تكن لهم نية ــ فإن عملهم ذلك من المباح إلا إذا (شَوَّشَ) على معلم ، أو أدى إلى ترك واجب شرعى ، فإن سلم من هذا فهو مفيد جدا خصوصا فى الأفراح والأحزان ، وفى المجتمعات خارج المساجد ، ولا ينبغى أن يكون فى المساجد ــ خصوصا فى أوقات تأدية الصلوات أو دراسة العلم ــ فإن قراء المولد الشريف ومداح رسول الله ﷺ ، يجددون للأمة شوقا إلى رسول الله ﷺ وحبا فيه صلوات الله وسلامه عليه ، وكم أحدث هؤلاء فى قلوب العامة أثرا حسنا أدى إلى الإقبال على الله والشوق إلى رسول الله ﷺ ، ولم ينتشر هذا الأمر فى الأمة إلا بعد أن اختفت ألسنة الحكمة وظهرت ألسنة الفساد من أهل الجدل والاختلاف ، فكان قراء المولد كمجددين نشوة للقلوب ، ولكن كانت ألسنة الحكمة فى زمن السلف الصالح وفى ظهور الأفراد المحبوبين لله تملأ القلوب يقينا ونورا ، وتجذب النفوس إلى الحق .

ذكر معاملة العبد فى التلاوة ووصف التالين للقرآن :

يستحب للمريد أن يختم القرآن فى كل أسبوع ختمتين ؛ ختمة بالنهار وأخرى بالليل ، ويجعل ختمة النهار يوم الإثنين فى ركعتى الفجر أو بعدهما ، وختمة الليل ليلة الجمعة فى ركعتى المغرب أو بعدهما ، ليستقبل بختمته أول النهار وأول الليل ، فإن الملائكة تصلى

عليه إن كانت ختمته ليلا حتى يصبح ، وتصلى عليه إن كانت نهارا حتى يمسى ، فهذان الوقتان يستوعبان كلية الليل والنهار ، وفى الخبر : « لم يفقه من قرأ القرآن فى أقل من ثلاث » .

وأمر رسول الله ﷺ عبد الله بن عمر أن يقرأ القرآن فى كل سبع ، وكذلك جماعة من الصحابة يختمون القرآن فى كل جمعة ، عن يحيى بن الحارث الديناري عن القاسم بن عبد الرحمن قال : كان عثمان بن عفان رضى الله عنه يفتتح ليلة الجمعة بالبقرة إلى المائدة ، وليلة السبت بالأنعام إلى هود ، وليلة الأحد بيوسف إلى مريم ، وليلة الإثنين بطه إلى طسم (القصص) وليلة الثلاثاء بالعنكبوت إلى (ص) وليلة الأربعاء (بتنزيل) إلى (الرحمن) ويختم ليلة الخميس . وكذلك كان زيد بن ثابت وأبى يختمان القرآن فى كل سبع ، وعن ابن مسعود أنه قرأ القرآن فى سبع ليال فكان يقرأ فى كل ليلة سُبعه ، إلا أن ترتيب مصحفه على غير ترتيب مصحفنا هذا فلم يذكره ، وجماعة يذكر عنهم ختم القرآن فى كل يوم وليلة .

ليس كل قارىء للقرآن يكاشف بمشاهده وأسراره :

اعلم أنه لا يجد فهم القرآن ــ كفهم الذى يكاشف بمشاهدته ، ويستظهر من الملكوت قدره ــ عبد فيه أدنى بدعة ، أو مصر على ذنب ، أو عبد فى قلبه كبر ، أو مقارف لهوى قد استكن فى قلبه ، أو محب للدنيا ، أو عبد غير متحقق بالإيمان ، أو ضعيف اليقين ، ولا من هو واقف عند مبناه غافل عن معناه ، ولا عبد يتتبع حروفه وأخباره ، ولا ناظر إلى قول مفسر ساكن إلى علمه الظاهر ، ولا راجع إلى معقوله ولا قاض بمذاهب أهل العربية واللغة فى باطن الخطاب ، أو فى سر (آلمر) وغيرها من رموز القرآن الشريف .

فهؤلاء كلهم محجوبون بعقولهم مردودون إلى ما فى علومهم ، موقوفون مع ما تقرر فى عقولهم ، مزيدهم على مقدار علومهم وغرائز عقولهم ، وهؤلاء مشركون بعقولهم وبعلومهم عند الموحدين ، وهذا داخل فى الشرك الخفى ، قال محمد بن على بن سنانه : إذا كان معقوله وعلمه عن عقل غير كامل ، فإن العقل الكامل ما عقل عن الله عز وجل ، وفهم حكمه وكلامه ، وقد قال رسول الله ﷺ فى صفة كمال العقل : (العاقلُ من عقِلَ عن الله سبحانه وتعالى أمرَه ونهيه) ، وفى الخبر : (أكثرُ منافقى أمتى قراؤُها) فهذا نفاق الوقوف مع سوى الله تعالى والنظر إلى غيره ـ لانفاق الشرك والإنكار لقدرة الله عز وجل ـ وهذا لا ينتقل عن التوحيد ، ولكنه لاينتقل إلى مقام المزيد .

صفات القارىء المكاشف بأسرار القرآن ومشاهده :

إذا كان العبد ملقيا السمع بين يدى سميعه ، مصغيا إلى سر كلامه ، شهيد القلب لمعانى صفات شهيده ، ناظرا إلى قدرته ، تاركا لمعقوله ومعهود علمه ، متبرئا من حوله وقوته ، معظما للمتكلم ، واقفا على حضوره ، مفتقرا إلى الفهم بحال مستقيم ، وقلب سليم ، وصفاء يقين ، وقوة علم وتمكين ، سمع فصل الخطاب ، وشهد علم غيب الجواب .

وأفضل القراءة الترتيل ، لأنه يجمع الأمر والندب ، وفيه التدبير والتذكير ، عن سيدنا علىّ كرم الله وجهه : (لا خير فى عبادة لا فقه فيها ، ولا فى قراءة لاتدبر فيها) وعن ابن عباس رضى الله عنهما : (لأن أقرأ البقرة وآل عمران أرتلهما وأتدبرهما ؛ أحب إلىّ

من أن أقرأ القرآن كله هذرمة) وروى عنه أيضا : (لأن أقرأ إذا زلزلت والقارعة أتدبرهما ؛ أحب إليَّ من أن أقرأ البقرة وآل عمران تهذرا) .

وسئل مجاهد عن رجلين دخلا فى صلاة فكان قيامهما واحدا ، إلا أن أحدهما قرأ البقرة والآخر قرأ القرآن كله ، فقال :هما فى الأجر سواء لأن قيامهما كان واحدا ، وأفضل الترتيل والتدبر فى القران ما كان فى صلاة ، وقال بعضهم : إنى لأفتتح السورة فيوقفنى بعض ما أشهد فيها عن الفراغ منها حتى يطلع الفجر ، وما قضيت .

الفصل الثانى

لِمَ يزور أهل الفرقة الناجية
قبور أولياء الله الصالحين ؟

زيارة القبور :

تقرر أن زيارة القبور سنة ، وكان قد نهى رسول الله ﷺ عنها فى صدر الإسلام قبل أن تشرق أنوار الحق جلية على القلوب ، وتقرير أصول الإسلام ، فلما أن انعقدت كل القلوب على الحق ، وظهر أن الخلق جميعا عبيد مقهورون ، وعباد مربوبون ، وعلم كل مسلم أن كل مسلم فى حاجة إلى رحمة الله ، وعفوه وفضله وكرمه ، اتسع الأمر بعد التشديد ، وأمرنا رسول الله ﷺ بزيارة القبور ، وزارها صلوات الله وسلامه عليه ، وكان فى كل سنة يزور شهداء بدر مرة أو مرتين ، ويزور شهداء أحد فى كل جمعة ، وصار أنس السالكين فى المقابر ، فكان سيدنا عبد الله بن عمر رضى الله عنهما يأخذ المصحف ويخرج إلى القبور ، فيجلس بينها ، وصارت سنة أهل السلوك بعده ، وهو إمامهم رضى الله عنه فى هد

تفاوت سكان القبور :

لما كان سكان القبور يتفاوتون ، فمنهم من هو فى حاجة إلى الاستغفار له ، ومنهم من هو مقبول الشفاعة عند الله مرضى القول

عنده كما قال الله : ﴿ **يومئذ لا تنفع الشفاعةُ إلا من أذِنَ له الرحمنُ ورضى له قولاً** ﴾[1] .

ونحن لا اطلاع لنا على الغيب ، ولكن الأحوال والأعمال وألسنة الخلق الأدلة على أن العبد مرضى القول عند الله ، مقبول الشفاعة لديه سبحانه وتعالى ، فإذا نحن زرنا المقابر فعلينا أن نستغفر وندعو لمن نظن أنهم فى حاجة إلى ذلك ، ونسأل الله تعالى عند من نعتقد أنهم مقبولون عند الله قد رضى عنهم ورضى لهم قولا .

والسنة أن نتذكر الموت عند زيارة القبور ، ونتذكر سكراته القوية ، وآلام نزع الروح وجهل العاقبة ، فتصغر فى عيوننا الدنيا ، وتقبح لذتها ، ويزول ما فى نفوسنا من اللقس والرعونات ، فنعمل للموت ، ونستعد للقائه ، ونلتفت عن الطمع فى الدنيا والغرور بزينتها الفانية .

زيارة قبور الأنبياء والأولياء والرد على منكريها :

شنع بعض من لا علم لهم بالسنة على زائرى قبور أولياء الله بلا حكمة ، ولا قصد لإزالة المنكر ؛ بل بعناد أدى إلى ضياع الحق ، وعناد المنكر والسامع ، والحقيقة أن زيارة القبور سنة ، وأن الدعاء عند قبور الصالحين الذين يظن الإنسان فيهم أنهم رضى الله عنهم ورضوا عنه ورضى قولهم سنة عملية ، دليل ذلك ما ورد فى حديث الإسراء ، أن رسول الله ﷺ نزل عند بيت لحم ، وعند قبر سيدنا موسى عليه السلام ، ووقف فصلى ، أى : دعا ، وزار صلى الله عليه

---

(١) سورة طه آية ١٠٩ .

وسلم القبور ، وخرج لزيارة شهداء بدر ووقف فدعا ، وورد أنه صلى الله عليه وسلم صلى على قبر رجل من الصحابة .

والدعاء المأثور لزيارة القبور هو : (السلام عليكم دار قوم مؤمنين ، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون ، اللهم رب هذه الأرواح الباقية والأجساد البالية أدخل عليها روحا منك وسلاما منى) هذا وإن الأرواح لتنتفع بزيارة أهل الصلاح والتقوى ، وتتنزل الرحمات على أهل القبور ، ويفوز الزائر بمغفرة الله إذا زار وليا من أولياء الله تعالى فى قبره ، فإن أولياء الله ليسوا موتى بل هم أحياء عند ربهم يرزقون ، لأنهم ماتوا بالله ولله قبل موتة عزرائيل ، قال الله تعالى : ﴿ **أوَ من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس**﴾(١) .

ومن أحياه الله لا يموت أبدا ، وإنما ينتقل إلى دار البرزخ يرزق فيها بتجدد الأعمال الصالحات التى سنها فى حياته الدنيا ، والخيرات التى يكتبها الله له بالعلم الذى أبقاه للمسلمين ، والنعم التى تتوالى عليه من الله بما أجراه من الصدقات الباقية ، فهذا حى عند ربه ، له رزق بقدر أرزاق من يعمل بإرشاده ، فقد يكونون أكثر المسلمين ، فيكون ـ وهو ميت فى قبره ـ له أجر كأجر الأحياء جميعا لا ينقص ذلك شيئا من أجورهم ، فهل مثل هذا ميت ؟ ومن ظن غير ذلك فقد جهل ، هذا حى عند ربه يُرزق ، ومن زاره فاز من الله بخير ، وسمع الله دعاءه واستجاب له .

هذا إذا كان الزائر كامل الإيمان متحققا بمشاهد التوحيد ، أما إن كان جاهلا فالأولى ـ بدل الإنكار عليه ـ أن نعلمه آداب الزيارة ،

(١) سورة الأنعام آية ١٢٢ .

ونفهمه أسرار التوحيد ، ونترك التشنيع عليه لأنه مؤمن مسلم والمسلم قابل للعلم ، إلا إذا كان ممن يعمل تلك الأعمال لعاجل الحياة الدنيا ، وهم قطاع طريق الله ولا يخفون على المؤمنين .

زيارة قبور الأنبياء والأولياء مرغب فيها :

زيارة قبور أولياء الله الذين رضى لهم قولا مرغب فيها ، والدعاء عند قبورهم مستجاب ، والتوسل إلى الله تعالى بأسمائه الحسنى وبالعمل بكتابه ، والعمل بسنة نبيه ﷺ ، وبرسوله ﷺ ، وبأوليائه المقربين مما يدل على مزيد إيمان المؤمن وتواضعه ، وسوء ظنه بنفسه واعتقاده أنه صغير فى نظره ، وأن المقام الإلهى علىٌّ عن أن يكون مثل هذا الداعى مقبولا لديه سبحانه ، فيتشفع بغيره ممن اجتباهم الله وأحبهم واصطفاهم واختارهم ، قال الله تعالى مخبرا عن ملائكته : ﴿ **أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة** ﴾[1] وقال سبحانه : ﴿ **وابتغوا إليه الوسيلة** ﴾[2] وقال سبحانه ﴿ **الرحمن فاسأل به خبيرا** ﴾[3] .

وكم من حاجة قضاها الله تعالى ، وكربة فرجها الله تعالى ، وشدة أزالها الله تعالى ، وفاقة أبدلها الله يسرا ، ومرض أبدله بعافية بدعاء أوليائه ، أو بزيارة قبورهم ودعاء الله فيها .

أسباب إنكار الجاهلين بالسنة لزيارة القبور :

وإنما أنكر الجاهل بالسنة زيارة القبور ، لجهله باليقين الحاصل فى

---

(١) سورة الإسراء آية ٥٧ .

(٢) سورة المائدة آية ٣٥ .

(٣) سورة الفرقان آية ٥٩ .

قلوب عامة المسلمين من كمال التوحيد ، واعتقاد أن الضار والنافع هو الله ، ومتى انعقد القلب على كمال الإيمان ، وحقيقة التوحيد ؛ فالأمر واسع لا شبهة فيه ، وهل يعتقد مسلم أن مسلما يأكل ويشرب ويتغوط ويمرض ويموت ينفع أو يضر ؟ ولكن لله رجالا أحبهم وأحب لأجلهم من أحبهم ، وقد أثنى الله تعالى على أنصار نبيه صلى الله عليه وسلم فقال : ﴿ **يحبون من هاجر إليهم** ﴾[1] فحب المؤمن للمؤمن دليل على كمال محبة الله ، وعناية المؤمن بالمؤمن دليل على حسن الثقة بالله ، فإذا كان المسلمون لايحبون أولياء الله أحياء وأمواتا ، فمن يحبون ؟ أيحبون الملوك والأغنياء ؟ لعل المنكرين يحبون الملوك والأغنياء ، فإذا ماتوا تركوهم ، ويعتقدون أن ذلك هو الحق (لا) .

ولكنا والحمد لله نحب أولياء الله ، ونقتدى بهم فى حياتهم ، ونبذل ما فى وسعنا لإكرامهم ابتغاء مرضاة الله ، فإذا ماتوا دام حبنا ، وكثر دعاؤنا لهم وزيارتنا لقبورهم .

الرسول وخلفاؤه يزورون قباء وشهداء أُحد :

كان صلى الله عليه وسلم يزور مسجد قباء كل يوم سبت ، ويزور شهداء أحد ، وعمل بسنته بعده أبو بكر وعمر وغيرهما رضى الله عنهم ، وقد أمرنا الله تعالى بشكر الوالدين ، وأمرنا رسول الله ﷺ بالصلاة عليهما بعد موتهما فى حديث حسن ، والعلماء أنفع من الوالدين ، ومن برهم المسارعة لما فيه نفع المسلمين من إحياء ذكرهم ونشر علومهم وإدامة الدعاء لله أن يلحقنا بهم ، أو يجعلنا من

(١) سورة الحشر آية ٩ .

المتشبهين بهم ، فإنما أحببناهم حبا لله ورسوله ، ولما جملهم الله به من جمال حبه سبحانه ، ومعرفته جل جلاله ، والمحافظة على العمل بكتابه وسنة نبيه ، وما وهب سبحانه لهم من الحكمة والبيان ، فهم نور رسول الله صلى الله عليه وسلم المشرق على أمته ، نحبهم أحياء وأمواتا ، ونفديهم بأنفسنا وأموالنا ، ولا نصغى لما يقوله الجاهل لما تفضل الله به علينا على ألسنتهم وأيديهم رضى الله عنهم ، ونفعنا بهم .

هذا مذهبى ، أسأل الله سبحانه وتعالى أن يشرح صدور إخوتى المؤمنين للعمل به ، حتى يكون أولياء الله محبوبين ، ومتى كان أولياء الله محبوبين سارع المسلمون إلى الاقتداء بهديهم ، والعمل بما كانوا عليه ، وتلقى علومهم النافعة ، فهم كما قال صلى الله عليه وسلم : (سُرج الدنيا ومصابيح الآخرة) فتراهم ــ وهم أحياء بين الناس ــ مجهولين غرباء ، فإذا انتقلوا إلى الدار الآخرة أحيا الله ذكرهم بين عباده الصالحين ، وسارع عباد الله فى تأسيس المساجد ، والصدقات ، وأوقفوا الأعيان على مساجدهم كل ذلك من إكرام الله لهم فى الدنيا ، فكيف يكون إكرام الله لهم فى الآخرة ؟ وما من بلد من بلاد الإسلام إلا وبها مسجد باسمهم ، أو زاوية بها فقراء المسلمين الذين أقعدهم الجهد يرزقهم الله من حيث لا يحتسبون .

فهم رضى الله عنهم فى حياتهم نور وبركة للمسلمين ، وبعد موتهم كنوز وخيرات لفقراء المسلمين ، يزورهم منقبض الصدر فيشرح الله صدره ، والعاجز عن التكسب فيرزقه الله ، وكم من فقراء لا عمل لهم إلا ما يجريه الله لهم على أيدى أهل العقيدة الإيمانية من أغنياء المسلمين .

أكتب هذا ، وأنا أستغفر الله منه إن كان عن حظ وهوى ، غير أنى ـ والحمد لله ـ أعتقد أنه مقصود به وجه الله تعالى ، والخير لإخوتى المؤمنين جميعا ، وهو رأى رأيته أعتقد فى نفسى أنه الحق ، اللهم إن كان حقا فانفعنى به وانفع به إخوتى المؤمنين ، وإن كان غير ذلك فأسألك أن تحفظنى وإخوتى المؤمنين من عجلتى الفطرية ، وإعجابى برأيى ، واتباع هواى ، إنك غفور رحيم تواب كريم .

الباب الثاني

صفات أهل الفرقة الناجية

أجمل صفاتهم التى أثنى الله بها عليهم :

محصورة فى قوله تعالى : ﴿ **التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله** ﴾[1] وهذه الآية الشريفة فصلت لنا إجمال ماكملهم الله تعالى به من المقامات والأحوال ، ومجموع تلك الصفات كلها لكل واحد منهم . فإن المؤمن الكامل الذى جمله الله بما كان عليه رسول الله ﷺ هو وأصحابه ؛ لايكون من أهل الفرقة الناجية إلا إذا جمع الله له تلك المعانى ويسرها له ، وسهلها عليه ، ولكل صفة من تلك الصفات جمل من العلم وتفصيل من الحكمة ومثل من البيان ، ليكون مريد الله على بصيرة من أمره ، ناهجا على الصراط المستقيم ، مهتديا سبيل الله .

ورغبة فى نيلك الخير ــ أيها السالك المخلص ــ أشرح لك جملا من معانى تلك الصفات التى أثنى الله بها على عباده المخلصين ، مرتبا لها كما رتبها الله تعالى ، وإن كان سبق لى أنى فصلت فى قسم علوم اليقين من كتاب : (أصول الوصول) مقامات أهل اليقين ، وبينت بعض

---

(١) سورة التوبة آية ١١٢ .

أحوالهم ، ولكنى فى هذه الرسالة سأبين ما لا غنى للمريد عنه ، مما لا يكون الإنسان من الفرقة الناجية إلا به ، فأشرح أولا التوبة فالتائبين ، ثم العبادة فالعابدين ، ثم الحمد فالحامدين ، ثم السياحة فالسائحين ، ثم الركوع فالراكعين ، ثم السجود فالساجدين ، ثم الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فالآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر . ثم أبين البشائر التى أعدها الله تعالى للمؤمنين .

والله أسأل أن يشرح صدرى لما يحب من البيان النافع ، والعلم الرافع ، وأن يؤيدنا بروح منه ، إنه مجيب الدعاء .

الفصل الأول

أهل الفرقة الناجية هم التائبون

التوبة عند أهل الفرقة الناجية :

الإقلاع عن الباطل قولا وعملا واعتقادا ، والرجوع إلى الحق قولا وعملا واعتقادا ، ولا تقشعر الجلود ولا تميل القلوب للتوبة إلا بولاية من الله سبحانه وتعالى للعبد ، وعلم يتفضل به عليه يكشف له به الستار عن الباطل وقبحه ، وعن الحق والخير الذى ينال به الفوز ، حتى تحل الرغبة فيه محل الرغبة عنه ، والمسارعة إلى الخير محل المسارعة إلى الباطل ، وعندها يتمثل للسالك قبح عمله ، وسوء فعله ، وما فاته من الخير العظيم فى زمان معصيته وما ارتكبه من الإثم العظيم وتعديه حدود ربه سبحانه وتعالى ، ويتمثل ما كان يناله من الخير ، وما اكتسبه من الآثام ، فتضيق عليه الأرض بما رحبت ، ويخرج بالعزم من عوائده ومألوفه ، ومخالفة أمر ربه ، وتضيق عليه نفسه ، فيفر منها إلى الله تعالى بالحزن والندم الشديدين ، حتى تهب عليه نسمات وسعة الفضل العظيم ، وشامل الرحمة ، ونور غافر الذنب وقابل التوب ، فتتروح نفسه .

فالتوبة هى أولا أن يتوب الله على العبد بما يرد عليه منه سبحانه وتعالى من نور العلم الذى يشعر قلبه بفضل الله عليه ، وحسن عنايته به فى الدنيا والآخرة ، ويشهده سوء صنيعه مع الله سبحانه وتعالى ،

وظلمه لنفسه بمخالفته أمره سبحانه ، فيقبل تائبا على ربه بتوفيقه ، وإذا لم تسبق التوبة من الله للعبد فضلا منه وكرما لم يستطع العبد أن يتوب ، إذ لا حول ولا قوة إلا بالله ، فالتوبة عن الكشف والوجد ؛ دليل عناية الله بالعبد ، وبرهان على إقباله سبحانه وتعالى عليه . والتائبون قليلون لأن أهل محبة الله قليلون ، قال الله تعالى : ﴿ **إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين** ﴾[1] ودليل ما قررت قوله تعالى : ﴿ **إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليما حكيما** ﴾[2] .

فقوله : (**يعملون السوء بجهالة**) دليل ما قررته أن فاعل السيئات جاهل ولو علم أنها ذنوب لجهله بعظمة من خالفه ، وعقوبته عليها ، ولا قبول لتوبته مادام جاهلا هذا الجهل ، حتى يرد عليه العلم من الله الكاشف له حقيقة قبح عمله ، وسوء مواجهته لربه .

وقوله : ﴿ **ثم يتوبون من قريب** ﴾ أى : عند انكشاف الحق لقلوبهم بما ورد عليها من الله تعالى ، وهذا لا ينافى ما قرره أهل التفسير فى قوله : (من قريب) أى : قبل الموت بزمن يسع التوبة متعلقين بها ﴿ **فأولئك يتوب الله عليهم** ﴾ وتوبة الله تعالى عليهم أن يورد عليهم هذا الوارد الربانى ، ويوفقهم للاعتراف والندم والعزم على عدم العودة إلى المعصية ، ويقبل منهم ، ويبدل أعمالهم السيئة بأعمال حسنة بتوفيقه ، وعقائدهم الباطلة بعقائد القرآن بعنايته ، وأحوالهم الشريرة بأحوال الصديقين بحسب توجهاته ، قال تعالى :

---

(١) سورة البقرة آية ٢٢٢ .

(٢) سورة النساء آية ١٧ .

﴿ **فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات** ﴾[1]ولديها يكونون أبدالا للصديقين ، وأئمة للمتقين ، يحبهم الله تعالى ويحبونه .

ماقاله أهل المعرفة فى التوبة :

وهنا أشرح لك جملا من التوبة ، وأورد عليك ماقاله أهل المعرفة فيها ــ لمزيد البيان ــ والله أسأل أن يوفقنى وإياك للتوبة النصوح الخالصة لذاته الأحدية من الذنوب التى توجب النقم ، وتغير النعم ، وتحبس غيث السماء ، وتديل الأعداء ، قال الله تعالى : ﴿ **وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون** ﴾[2]عن أنس بن مالك قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « التائب من الذنب كمن لا ذنب له ، وإذا أحب الله عبدا لم يضره ذنب . ثم تلا : ﴿ **إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين** ﴾[3] قيل : يا رسول الله وما علامة التوبة ؟ قال : الندامة » عن أنس بن مالك أيضا أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « مامن شيء أحب إلى الله من شاب تائب » والتوبة أول منزل من منازل السالكين ، وأول مقام من مقامات الطالبين ، وحقيقة التوبة الرجوع إلى الله ، والندم على مافات ، قال النبى صلى الله عليه وسلم : (الندم توبة) .

شروط التوبة الصحيحة :

أهل الأصول من أهل السنة قالوا : شرط التوبة حتى تصح ثلاثة أشياء :

(١) سورة الفرقان آيه ٧٠ .

(١) سورة النور آية ٣١ .

(٢) سورة البقرة آية ٢٢٢ .

١ – الندم على ماعمل من المخالفات .
٢ – وترك الزلة فى الحال .
٣ – والعزم على أن لايعود إلى مثل ما عمل من المعاصى .

فهذه الأركان لابد منها حتى تصح التوبة .

أقوال العلماء فى التوبة والتائبين :

سئل ذو النون المصرى عن التوبة فقال : توبة العوام من الذنوب ، وتوبة الخواص من الغفلة . وكان عبد الله بن على بن محمد التميمى يقول : شتان ما بين تائب يتوب من الزلات ، وتائب يتوب من الغفلات ، وتائب يتوب من رؤية الحسنات . وقال ذو النون : حقيقة التوبة أن تضيق عليك الأرض بما رحبت حتى لا يكون لك قرار ، ثم تضيق عليك نفسك كما أخبر الله تعالى فى كتابه بقوله : ﴿ **وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا** ﴾[١] وقال ابن عطاء : التوبة توبتان : توبة الإنابة ، وتوبة الاستجابة ، فتوبة الإنابة أن يتوب العبد خوفا من عقوبته ، وتوبة الاستجابة أن يتوب حياء من كرم الله تعالى . وقيل لأبى حفص : لم يبغض التائب الدنيا ؟ قال : لأنها دار باشر فيها الذنوب ، فقيل له أيضا : هى دار أكرم الله فيها التائب بالتوبة ، فقال : إنه من الذنب على يقين ، ومن قبول توبته على خطر . وقال رجل لرابعة : إنى قد أكثرت من الذنوب والمعاصى فلو تبت هل يتوب علىّ ؟ فقالت : لا ، بل لو تاب عليك لتبتَ .

---

(١) سورة التوبة آية ١١٨ .

قال يحيى بن معاذ : زلة واحدة بعد التوبة أقبح من سبعين قبلها .

وعن أبى عمرو الأنماطى : ركب على بن عيسى الوزير فى موكب عظيم فجعل الغرباء يقولون : من هذا ؟ من هذا ؟ فقالت امرأة قائمة على الطريق : إلى متى يقولون من هذا ؟ من هذا ؟ هذا عبد سقط من عين الله فابتلاه الله بما ترون . فسمع على بن عيسى ذلك فرجع إلى منزله واستعفى من الوزارة وذهب إلى مكة ، وجاور بها . قال الله تعالى فى خطاب العموم : ﴿ **وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون** ﴾ معناه : ارجعوا إليه من هوى نفوسكم ، ومن وقوفكم مع شهواتكم ، عسى أن تظفروا ببغيتكم فى المعاد ، وكى تبقوا ببقاء الله عز وجل فى نعيم لا زوال له ولا نفاد ، ولكى تفوزوا وتسعدوا بدخول الجنة وتنجوا من النار ، فهذا هو الفلاح . وقال تعالى فى مخاطبة الخصوص : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الأنهار** ﴾[1] فنصوحا معناها خالصة لله تعالى ، وهى الاستقامة على الطاعة من غير روغان إلى معصية كما تروغ الثعالب ، وأن لا يحدث نفسه بعود إلى ذنب متى قدر عليه ، وأن يترك الذنب لأجل الله تعالى خالصا لوجهه ، كما ارتكبه لأجل هواه مجمعا عليه بقلبه وشهوته .

فمن أتى الله عز وجل بقلب سليم من الهوى ، وعمل خالص مستقيم على السنة ، فقد ختم له بحسن الخاتمة ، فحينئذ أدركته الحسنى السابقة ، وهذا هو التوبة النصوح ، وهذا العبد هو التواب ، المتطهر ، الحبيب ، وهذا إخبار عمن سبقت له من الله الحسنى ،

(١) سورة التحريم آية ٨ .

ومن تداركه ربه بتوبته رحمه بها من تلوث السوءى ، وهو وصف لمن قصده بخطابه إذ يقول فى كتابه : ﴿ **إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين** ﴾ وكما قال صلى الله عليه وسلم : « التائب من الذنب كمن لا ذنب له » وسئل الحسن عن التوبة النصوح فقال : هى ندم بالقلب ، واستغفار باللسان ، وترك بالجوارح ، وإضمار أن لا يعود إليه . وقال أبو محمد سهل رحمه الله : ليس من الأشياء أوجب على هذا الخلق من التوبة ، ولا عقوبة أشد عليهم من فقد علم التوبة ، وقال : من يقول : إن التوبة ليست بفرض ؛ فهو كافر ، ومن يرضى بقوله فهو كافر .

وقد جعل سيدنا علىّ كرم الله وجهه ترك التوبة مقاما فى العمى ، وقرنه باتباع الظن ونسيان الذكر ، فقال فى الحديث الطويل : ومن عمى نسى الذكر ، واتبع الظن ، وطلب المغفرة بلا توبة ولا استكانة .

ففرض التوبة الذى لابد للتائب منه ولا يكون محبا صادقا إلا به : الإقرار بالذنب ، والاعتراف بالظلم ، ومقت النفس على الهوى ، وحل الإصرار الذى كان عقده على أعمال السيئات ، وإطابة الغذاء بغاية ما يقدر عليه ، ثم الندم على ما فات من الجنايات .

الخصال التى على العبد فى التوبة :

وجملة ما على العبد فى التوبة ، وما تعلق بها عشر خصال ، أولها : فرض عليه أن لا يعصى الله تعالى ، والثانية : إن ابتلى بمعصية لا يصبر عليها ، والخصلة الثالثة : التوبة إلى الله تعالى منها ، والرابعة : الندم على ما فرط منه ، والخامسة : عقد القلب على الاستقامة على الطاعة

إلى الموت ، والسادسة : خوف العقوبة ، والسابعة : رجاء المغفرة ، والثامنة : الاعتراف بالذنب ، والتاسعة : اعتقاد أن الله تعالى قدر عليه ذلك ، وأنه عدل منه ، والعاشرة : المتابعة بالعمل الصالح ليعمل فى الكفارات ؛ لقوله صلى الله عليه وسلم : « وأتبع السيئة الحسنة تمحها » والمتصف بتلك الخصال كلها هو التائب حقا ، ومن قصر فى صفة منها كانت توبته بقدر مجاهدته لنفسه ، وإذا لاحظت عناية الله عبدا يسر له جميعها ، وتفضل عليه بمحبته سبحانه وتعالى له .

وقال بعض العارفين : إن لله تعالى إلى عبده سرين يسرهما إليه ، يوجد ذلك بإلهام يلهمه ؛ أحدهما إذا ولد وخرج من بطن أمه يقول له : عبدى قد أخرجتك إلى الدنيا طاهرا نظيفا ، واستودعتك عمرك وائتمنتك عليه ، فانظر كيف تحفظ الأمانة ، وانظر كيف تلقانى كما أخرجتك . وسر عند خروج روحه يقول : عبدى ماذا صنعت فى أمانتى عندك ؟ هل حفظتها حتى تلقانى على العهد والرعاية فألقاك بالوفاء والجزاء ؟ أو أضعتها ، فألقاك بالمطالبة والعقاب ؟ فهذا داخل فى قوله عز وجل : ﴿ **والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون** ﴾ [1] وفى قوله تعالى : ﴿ **وأوفوا بعهدى أوف بعهدكم** ﴾[2] .

فعمر العبد أمانة عنده ، إن حفظه فقد أدى الأمانة ، وإن ضيعه فقد خان الله ﴿ **إن الله لا يحب الخائنين** ﴾[3]وفى خبر ابن عباس رضى الله عنه : (من ضيع فرائض الله عز وجل خرج من أمانة الله)

---

(١) سورة المؤمنون آية ٨ .

(٢) سورة البقرة آية ٤٠ .

(٣) سورة الأنفال آية ٥٨ .

وسئل يحيى بن معاذ : كيف يصنع التائب ؟ فقال : هو من عمره بين يومين : يوم مضى ويوم بقى ، فيصلحهما بثلاث ، أما ما مضى : فبالندم والاستغفار ، وأما مابقى : فبترك التخليط وأهله ، ولزوم المريدين ، ومجالسة الذاكرين ، والثالثة : لزوم تصفية الغذاء والدأب على العمل .

علامة صدق التوبة وتحققها :

من علامة صدق التوبة رقة القلب ، وغزارة الدمع ، وفى الخبر : (جالسوا التوابين فإنهم أرق شيء أفئدة) ومن التحقق بالتوبة استعظام الذنوب ، كما جاء فى الخبر : (المؤمن الذى يرى ذنبه كالجبل فوقه يخاف أن يقع عليه ، والمنافق الذى يرى ذنبه كذباب مر على أنفه فأطاره) وقال : بلال بن سعد : لا تنظر إلى صغر الخطيئة ، ولكن انظر إلى من عصيت . أوحى الله إلى بعض أوليائه : لا تنظر إلى قلة الهدية وانظر إلى عظمة مهديها ، ولا تنظر إلى صغر الخطيئة وانظر إلى كبرياء من واجهته بها . فإنما عظمت الذنوب لعظمة المواجه بها ، وكبرت فى القلوب لمشاهدة ذى الكبرياء ، ومخالفة أمره بمزاولتها ، فلم يصغر ذنب عند ذلك ، وكانت الصغائر عند الخائفين كبائر .

وقال بعض الصحابة للتابعين : إنكم لتعملون أعمالا هى أدق فى أعينكم من الشعرة ، كنا نعدها فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم من الموبقات ـ ليسوا يعنون أن الكبائر التى كانت على عهد النبى ﷺ صارت بعده صغائر ، ولكن كانوا يستعظمون الصغائر ، لعظمة الله تعالى فى قلوبهم لعظيم نور الإيمان ، ولم يكن ذلك فى قلوب من بعدهم ـ .

وقال بعض العارفين : حقيقة التوبة أن تنصب ذنبك بين عينيك ، وقال آخر : حقيقة التوبة أن تنسى ذنبك . وهذان طريقان لطائفتين ، وحالان لأهل مقامين ، فأما ذكر الذنوب فطريق المريدين ، وحال الخائفين يستخرج منهم بتذكرها الحزن الدائم ، والخوف اللازم ، وأما نسيان الذنوب شغلا عنها بالأذكار ، وما يستقبل من مزيد الأعمال ، فطريق العارفين ، وحال المحبين ، ووجهة هؤلاء شهادة التوحيد وهى مقام فى التعرف ، ووجهة الأولين مشاهدة التوقيف والتحديد وهى مقام فى التعريف ، ففى أى المقامين أقيم عبد قام بشهادة وجهته وعمل بحكم حالته ، ومقام شهادة التوحيد أفضل عند العارفين من مقام مشاهدة التعريف ، وإن كانت هذه أوسع وأكثر ، إلا أنها فى أصحاب اليمين وفى عموم المقربين ، وشهادة التوحيد أضيق وأقل ، وأهلها أعلى وأفضل ، وهى فى المقربين وخصوص العارفين .

وقال بعضهم : إن العبد إذا عصى أظلم قلبه ظلمة يثور على القلب منها دخان يشهده الإيمان فهو مكان حزن العبد الذى تسوءه سيئته ، ويكون ذلك الدخان حجابا له عن العلم والبيان ، كما تحجب السحابة الشمس فلا تُرى ، ويكون غلفا يجده فى نفسه للخلق ، فإذا تاب العبد وأصلح انكشف الحجاب فيظهر الإيمان فيأمر بالعلم كما تبرز الشمس من تحت الحجاب ، ومن هذا قوله تعالى : ﴿ **كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون** ﴾[1] قالوا : هو الذنب على الذنب حتى يسود القلب ، ويصير الإيمان تحت الحجاب فلا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا ، وعندها ينكس أعلاه أسفله إذا استكمل سواده ،

---

(١) سورة المطففين آية ١٤ .

فحينئذ يكون قد مرد على النفاق فاطمأن به وثبت ، إلى أن ينظر الله تعالى إليه فيعطف بفضله عليه .

وقد جعل سيدنا على كرم الله وجهه : الغفلة إحدى مقامات الكفر ، وقرنها بالعمى والشك ، وأمال صاحبها عن الرشد ، ووصفها بالحسرة فقال فى الحديث الذى يروى من طريق أهل البيت : فقام عمار بن ياسر فقال : يا أمير المؤمنين أخبرنا عن الكفر على ما بنى ؟ فقال : على أربع دعائم : على الجفاء ، والعمى ، والغفلة ، والشك ، فمن جفا احتقر الحق وجهر بالباطل ومقت العلماء ، ومن عمى نسى الذكر ، ومن غفل حاد عن الرشد ، وغرته الأمانى فأخذته الحسرة والندامة ، وبدا له من الله تعالى مالم يكن يحتسب ومن شك تاه فى الضلالة) وقد وصف الله تعالى المؤمنين بترك متابعة الذنوب ، وترادف السيئة بالحسنة فى قوله تعالى : ﴿ **ويدرءون بالحسنةِ السيئةَ** ﴾[1] وقد جعل هذا من وصف العاملين الذين صبروا فقال تعالى : ﴿ **أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرءون بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون** ﴾[2] .

هذا ما أحببت أن أورده عليك من أحكام التوبة ووصف التائبين ، لتزن به أحوالك عند إنابتك إلى الله تعالى ، ورجوعك إلى طاعته سبحانه ، فإن وجدت ما أورده الله على التائبين من حلاوة الإقبال عليه ، ولذة مواجهته تعالى بلا تكلف منك فقل : ﴿ **الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لِنَهْتَدِىَ لولا أن هدانا الله** ﴾[3].

(١) سورة الرعد آية ٢٢ .
(٢) سورة القصص آية ٥٤ .
(٣) سورة الاعراف آية ٤٣ .

وإن لم تجد من نفسك هذا المشهد العلى ؛ فتيقن أن ذلك من نزوع نفسك إلى حظ ترجوه عاجلا ، أو آجلا ، أو لتوبتك على غير مشهد من مشاهد التوحيد ، أو لشوب فى إخلاصك ، فسارع يا أخى إلى مجالسة التوابين وسماع علومهم منهم ، لتشرق على قلبك أنوار التوحيد ، وتعرف قدر ما تفضل به عليك ذو الفضل العظيم ، وعظيم ما اجترحته فى جانبه سبحانه وتعالى ، حتى تنجذب نفسك بالكلية إلى الإنابة إلى الله ، فتكون توبتك نصوحا ، وتوصف بأنك من التوابين ، وتتلذذ بمحبة الله لك فتجدد التوبة لكل عمل تعمله لعلمك بقدر نفسك ، وقدر عملك ، ومعرفتك مقام ربك ، ولو كان فى نظرك قربة ، لما تشهده فيه من عجزك عن القيام بواجب شكر المنعم المتفضل ، حتى تنبلج لك أنوار التوحيد ، فيحصل البسط والأنس ، فتنسى ذنبك ، وتقبل على ربك بظاهرك وباطنك ، وتكون ممن قال الله تعالى فيهم : ﴿ **أولئك لهم الأمنُ وهم مهتدون** ﴾[1] .

والعامة يجددون التوبة عند حدوث الذنب ، والخاصة يجددون التوبة عند أعمال البر لشهودهم التقصير فيها ، وخاصة الخاصة يجددون التوبة بعد عمل القربات لشهودهم العمل لأنفسهم لفهمهم التوحيد بالتوحيد ، وهنا أمسك القلم عن توبة المحبوبين وإنابة المرادين ، لعلو مشاهدهم وخفاء مواجيدهم ، قال الله تعالى : ﴿ **وما أوتيتم من العلمِ إلا قليلا** ﴾[2]فإن العبارة لا تفى بمشاهدهم ، والإشارة لا تبين مواهبهم التى تفضل الله بها عليهم ، وإنما هو فضل

(١) سورة الأنعام آية ٨٢ .

(٢) سورة الإسراء آية ٨٥ .

الله العظيم يؤتيه من يشاء .

وقد كشفت لك الستار عما يمكن أن يبلغه مريد الحق إذا عمل بعلمه ، وما يورثه الله تعالى للعاملين بعلمهم عليٌّ عن أن يسطر على الأوراق ، قال الله تعالى : ﴿ **إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم** ﴾(1) وقال سبحانه وتعالى : ﴿ **ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا** ﴾(2) .

وكفى شرفا بالتوبة أن الله سبحانه وتعالى أخبر أنه يحب التوابين ، ومن علم مقدار ما يتفضل الله به على من يحبه يعلم قدر التوبة ، ويسارع إليها ، ويفوز بالفضل العظيم ، وإنى أنبهك أيها المريد السالك أن تلجأ إلى التوبة عند كل ذنب واثقا بالله سبحانه وتعالى بوسعة رحمته ، معتقدا أنك عبد مذنب ، وأنه رب غفور عفو تواب كريم ، ولا يهولنك عظم الذنب ، فإن ذلك لجهلك بواسع مغفرة ربك ، ولا حصوله منك بعد التوبة ، فإن ذلك لجهلك بنفسك ، بل سارع إلى التوبة عازما على عدم الرجوع إلى الذنب بإخلاص وصدق ؛ ولو أذنبت فى اليوم مائة مرة .

التائب المذنب بتوبته :

وإنما شنع العلماء على التائب العاجز عن عمل الذنب ، فإذا قدر عاد للذنب لأنه لم يتب لله مخلصا ، وعلى من تاب بعد الوقوع فى الذنب إذا أصابته بلية باقتراف الذنب فيتوب منتظرا زوال البلية ، وذموا من تاب عازما على العودة ، وهؤلاء لم يكونوا من التائبين عندنا ، ولكنهم لاعبون ، وهم مذنبون بتوبتهم ، ويجب أن يتوبوا من

(1) سورة الأنفال آية ٢٩ .
(2) سورة الطلاق آية ٥ .

تلك التوبة لأنها ليست توبة حقا ، ولكنها ذنب آخر يضاف إلى ذنوبه ، ودليل ذلك قوله تعالى : ﴿ **حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذى آمنت به بنوا إسرائيل وأنا من المسلمين آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين** ﴾[1] وقوله تعالى : ﴿ **وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموتُ قال إنى تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك أعتدنا لهم عذابا أليما** ﴾[2] وأمثال هؤلاء يجب عليهم قبل التوبة أن يسارعوا إلى مجالس العلماء الربانيين ، ويستفتونهم فى التوبة حتى يعلموا مم يتوبون ، ولمن يتوبون ، وكيف يتوبون ، لأن أمثال هؤلاء من الغافلين الذين لا ترفع أعمالهم لجهلهم وغفلتهم فى العمل ، والجاهل لايقبل الله منه قليل العمل ولا كثيره .

وكان الناس يبكون بعد الأعمال الصالحة خشية أن ترد عليهم ، حتى قال بعضهم : التوبة من التوبة . وإن ظهر لبعض من لا معرفة لهم بأسرار التوحيد خطأ قائل هذه الكلمة ، ولكنهم لو كوشفوا بمراده لتابوا من توبتهم ، فإن التائب إلى الله إذا شهد عمله فى توبته ، واعتقد أنه أورد هذا العمل على الله بحوله وقوته ، فهو مشرك شركا خفيا فمثله يتوب ــ لا من التوبة ــ ولكن من ذنب آخر هو شهوده عمله فيه ، لأن التوبة ــ كما قررت آنفا ــ فضل من الله يتفضل الله به على من يحبهم من عباده ، فهو وارد من الحق على الخلق ، وهو لأهل مشاهد التوحيد ، فالرجوع إلى الله بالتوبة فضل الله على العبد فى الحقيقة ، وإقبال منه عليه ، فإذا شهد العمل لنفسه واطمأن قلبه به فقد جهل فضل ربه عليه بتوبته ، ونسى نعم المنعم عليه برجوعه ، فيكون بعد عن الله بما يظن أنه قرب إليه به ، فيتوب من هذا الذنب

(١) سورة يونس اية ٩٠ ــ ٩١

(٢) سورة النساء آية ١٨ .

الخفى إلا على أهل مشاهد التوحيد . فقوله : تاب من التوبة أى : تاب من ذنب ارتكبه فى التوبة ، ولأهل الفرقة الناجية مشاهد فى قرباتهم ، وأذواق راقية فى عباراتهم ، أسأل الله تعالى أن يمنحنا فضله العظيم ، وأن يجعلنا من التوابين المتطهرين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

التوبة عمل من أعمال القلوب والجوارح :

من هنا يظهر أن التوبة عمل من أعمال القلوب : وهو مكاشفة عظمة الله ، واستبانة أحوال نفسه ، والعزم على استبدال قبائح الأعمال بمحاسنها ، والإخلاص فى الرجوع إلى الله ، والصدق فى العمل له ، وملاحظة التوحيد الخالص عند القيام بهذا العمل القلبى .

وعمل بالجوارح : وهو القيام بالفرائض ، وملازمة سنن رسول الله ، وترك ما كان يعمل من قبيح العمل ، والمسارعة إلى عمل الواجب والمندوب ، ليستبدل كل قبيح عمله بعمل حسن يعمله ، وبكل خصومة صلحا ، وبكل أذية آذاها للخلق إحسانا يحسن إليهم لوجه الله تعالى ، وتشبها برسول الله صلى الله عليه وسلم .

ليس بتائب من أهمل عمل القلب وسارع إلى عمل الجوارح ، ولا من أهمل عمل الجوارح وسارع إلى عمل القلب ، لأنه يتوب من عمل عمله بقلبه وجوارحه ، وكل من القلب والجوارح مطالب بالتوبة حتى يتفضل الله عليه بمحبته حقا ، لأن النعيم فى الدار الآخرة للروح والجسم ، والشقاء فى الدار الآخرة للنفس والجسم ، ومتى زكت النفس أفلح الجسم والنفس ، وسمى بمجموعهما مؤمنا ، فإن كلمة الإيمان مدلولها عمل القلب ، وعمل الجسم ، وليس بمؤمن مَن اعتقد وترك الأعمال الظاهرة فإنه كافر عند العلماء ، ولا مَن عمل

بالجوارح وترك الأعمال القلبية فإنه منافق عند العلماء ، إنما المؤمن حقا ، من جمله الله باليقين الحق ووفقه للأركان والمندوبات . إذن فالتوبة لابد أن تكون بالقلب والجوارح .

المفرقون للأمة :

إن كثيرا من أهل الجهالة يتكلفون الأعمال الصالحة أمام الخلق وقلوبهم قلوب الشياطين ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ، ومن أهل الجهالة من يتكلف الخفاء بالأعمال عند الناس ، وهمته متوجهة إلى الشهرة والظهور ، فتكون الأبدان متقلبة فى الطاعات ، والقلوب مظلمة بالغفلات ، ومنهم من يتكلف الخروج عن الاعتدال ظنا أن ذلك تزكية للنفوس وتهذيب لها ، كما فعل بعض الأفراد الذين خرجوا إلى الغابات فرارا إلى الله تعالى فيتشبهون بهم فى أعمالهم البدنية ، ويجهلون مشاهدهم العلية ، فتكون لهم بعد ذلك شهرة بين الناس ومنزلة ، فيقبلون على الدنيا كالذئاب ، ومنهم من يحفظ كلام القوم ويلقيه أمام العامة ليجذب قلوبهم إليه ، ويسلب أموالهم منهم ، وهم فى عملهم هذا يروغون روغان الثعالب .

ومنهم من ينظر إلى أهل زمانه نظر ازدراء فيمقتهم ، ويبحث عن عيوبهم ، ويحفظ ما ورد فى ذم الأعمال السيئة والبدع المضلة ، جاهلا بحقائقها غافلا عن سر مدلولها ، وعمن قيلت فيهم ، فيقوم مشنعا على العامة فى أعمال ليست من البدع ولا من الضلالة ، فيكون آلة للشيطان ، يفرق جماعة المسلمين فيشغلهم عن الموارد الهنية ، والمشاهد العلية ، ويظن أنه مجدد السنة ، وهو مغرور محجوب مبعود عن الله ، ومنهم من يشتغل بالتفضيل فيفضل زيدا على عمرو ، حتى يشغل المسلمين عن سنى الأحوال ، ومقبول الأعمال — كما فعل

الرافضة ومن غالى من الشيعة ، وكما فعل جهلاء المتكلمين – كل ذلك من الجهل بالله ومن الجهل بالنفس .

والأوْلى بهؤلاء أن يفتشوا عن مرشد كامل يتلقون عنه الحكمة والمعرفة ، ويتركون شأن العامة فإنهم على خير ، كما قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : اللهم إيمانا كإيمان العجائز . وكما قال بعض العارفين : اللهم إيمانا كإيمان الأميين . وقد بينت فى كتاب : (تذكرة المرشدين والمسترشدين) ما ينبغى أن يكون عليه العالم والمتعلم والمرشد والمسترشد ، والله أسأل أن يحفظ جماعة المسلمين من الأمراض المنتشرة من هؤلاء ، وهم الذين فرقوا الأمة إلى بضع وسبعين فرقة ، أعاذنا الله من شرهم . وقد بينت فى باب تراجم أفراد الصحابة وأئمة السلف ؛ نماذج فى الصراط المستقيم لطالب الله تعالى يهتدى بها فى سيره ، وتستنير بها سريرته ، لأنهم أئمة الهدى ، والذين أمرنا الله أن نسأله الهداية لطريقهم فى كل يوم أربعين مرة لقوله تعالى : ﴿ **اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم** ﴾(1)فهم الذين أنعم الله عليهم ، أعاننا الله على انتهاج سبيلهم ، ووفقنا للعمل الذى يحبه ويرضاه آمين .

وإذا أردت تفصيل علوم التوبة فراجع ذلك فى كتاب : (أصول الوصول) فى قسم : (علوم اليقين) وإنما بنيت لك هنا حقيقة التوبة عند أئمة الفرقة الناجية الذين هم على ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه .

---

(1) سورة الفاتحة آية ٦ – ٧ .

حرصهم على مشابهة الرسول ﷺ وأصحابه :

كتبت لك نموذجا مما عليه أهل الفرقة الناجية فى قيامهم بالفرائض والمندوبات اليومية ، وكيف اجتهدوا أن يوقعوا كل عمل من الأعمال طبق ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى آناته ، ملاحظين فى ذلك الحركات والأقوال والأعمال القلبية بقدر الاستطاعة ، باذلين الجهد أن لا يضيع منهم نفس من غير أن يكونوا متشبهين به صلى الله عليه وسلم ، وفى تلك المشابهة مشاهد ومقامات أشير إلى شىء منها :

المشهد الأول :

أن يكونوا مستحضرين حقيقة الاقتداء به صلى الله عليه وسلم ، استحضارا يجعل القلب يطمئن بالعمل .

المشهد الثانى :

أنهم باستحضارهم هذا تتجلى للخيال أنوار ذاته صلى الله عليه وسلم فى قيامه بالأعمال ، فيشهد الخيال بسر المثال هيكله النورانى صلى الله عليه وسلم ، شهودا تنكشف به لجوهر النفس حكمة تلك الأعمال ، والمراد منها .

المشهد الثالث :

يتجلى لجوهر النفس نور مواجهة الموفق الهادى المعين من فيض سر التشبه به صلى الله عليه وسلم ، فيصفو جوهر النفس بمشاهد التوحيد التى انبلجت له فى العمل ، بعد شهود أنه الفاعل فى افتتاح العمل .

المشهد الرابع :

كشف الحجاب بين العبد وربه حتى يسمع كلام الله من الله ،

ويرى جمعه على ربه سبحانه وتعالى ، وقربه منه ، حتى تحصل المناجاة .

وهناك مشاهد فوق هذه نمسك عنها اللسان والقلم ، كل هذا بفضل مجاهدتهم رضى الله عنهم لأنفسهم ، حتى تكون على ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه .

المقامات :

أما المقامات فمنها مقام المحبة : فإن المتشبه برسول الله فى عمله وقوله ــ عند قيامه بالفرائض والمندوبات ــ لا يمكنه أن يحسن ذلك إلا بالعلم ، والعلم كما قررت فى كتاب : (معارج المقربين) تصور النفس رسوم المعلوم حتى ينتقش على جوهر النفس الصافى ، ومتى انبلجت أنوار المعلوم لجوهر النفس بعلمه اشتد شوقها إليه ، فسارعت إلى مرضاته بالتشبه بأحب عباده إليه ، والعمل بسنة أكرمهم عليه صلى الله عليه وسلم ، والمتشبه بالمحبوب محبوب ، والعامل بسنة الكريم على الله كريم على الله تعالى ﴿ **قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله** ﴾[1] فكان مجرد اتباعه صلى الله عليه وسلم ينيل محبة الله ــ فضلا من الله ــ فكيف بالمحافظة على التشبه به صلى الله عليه وسلم والمسارعة إلى العمل بسنته ؟ .

ومنها التوكل على الله : فإن مشاهدة الحق ومناجاته تقتضى معرفته ، ومعرفته تقتضى حقيقة التوكل عليه .

ونمسك القلم عن بقية المقامات ، وكل ذلك بفضل الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحسن اتباعه ، وقد شرحت جملا

---

(١) سورة آل عمران آية ٣١ .

من المقامات فى قسم التصوف فى كتاب : (أصول الوصول) هذا وإن الله سبحانه وتعالى قد يكرم المعاصرين بالتشبه برسول الله إكراما له ، فكيف يكون إكرام الله لمن جمله بتلك المعانى فى نفسه ؟ .

ومريد الحق إذا بلغه من الصادق عمل كان يعمله رسول الله أو قول كان يقوله سارع إليه وبحث عن كيفيته ، حتى كان بعض الصحابة يحب أن يعلم كيفية أعماله الشخصية صلى الله عليه وسلم مما يستتر فيها عن الناس ؛ ليكون تشبهه به أكمل وأتم ، حرصا على أن يكون شبيها برسول الله فى كل الأعمال والأقوال والأحوال ، شرعيها وعاديها ، حتى يفوز بأن يكون معه صلى الله عليه وسلم معية لا حجاب بعدها ، ومجموعا عليه صلى الله عليه وسلم جمعية لا تفرقة بعدها ، وإنما هى أنوار أعمال ، وأسرار أحوال ، متى استحضرها السالك حضر مع رسول الله ﷺ ، وامتزج حبه ﷺ بدمه ولحمه ومخه ولبه ، حتى لا يتحرك ولا يسكن إلا وهو مشاهد أن ذلك كفعله ﷺ ، والله سبحانه وتعالى يجملنا بحقيقة الاقتداء به ﷺ ، ويخلقنا بأخلاقه الطاهرة المحمدية ، ويجمعنا عليه جامعة يجعلنا بها من أهل معيته ﷺ ، إنه مجيب الدعاء .

الفصل الثانى

أهل الفرقة الناجية هم العابدون

العبادة :

هى اعتقاد عند أهل التسليم ، وشهود عند أهل الكشف أن للمعبود سبحانه قوة غيبية فوق الأسباب يقدر بها على النفع والضر ، مع غاية الحب ونهاية الذل والخضوع ، ففى اللغة : التعبد : الخضوع والتذلل . فمن أحببته ولم تكن ذليلا خاضعا له لم تكن عابدا له ، ومن خضعت له ولم تكن محبا له لم تكن عابدا له ، حتى تكون محبا ذليلا خاضعا . والمنكرون محبة العباد لربهم منكرون حقيقة العبادة ، فإن العابد فى نهاية الحب وغاية الذل والخضوع لمن يعبد ، وفى كمال الاعتقاد أن له قوة غيبية فوق الأسباب الظاهرة يقدر بها على النفع والضر ، وقد شرحنا مقام المحبة فى قسم علوم اليقين فى كتاب : (أصول الوصول) شرحا وافيا فى تفصيل علوم المحبة وأحوال أهلها لا نريد الإطالة بها هنا .

ومن أنكر أن الله محبوب للعباد ــ بل أنه غاية بغيتهم ووجهه العلى نهاية مقصدهم ــ فقد أنكر أنه إله يعبد ، إذ العبادة ــ كما قررنا ــ نهاية الحب وغاية الذل ، ومن لاحب له لا عبادة له ، والخاضع الذليل بلا حب ليس بعابد ، والعاشق بلا خضوع ولا اعتقاد ليس بعابد ، إذا فالعابد بلغ نهاية المحبة لله وغاية الخضوع والذلة لجنابه ، واعتقد بقوته الغيبية وسلطته القهرمانية التى هى فوق الأسباب ، فيكون بتلك المعانى كلها عابدا ، وبترك معنى منها ليس بعابد .

وأهل الفرقة الناجية هم العباد حقا المتحققون بكمال الحب لله ، الحب الذى حقر فى أعينهم الكونين ، وأنساهم ماسوى الله فذكروه كثيرا ، وتلذذوا بكمال الذل لعظمته ، وكمال الخشوع لعزته ، لذلك **فإنه سبحانه وتعالى قدم قوله** : (**إياك نعبد**)[1] على قوله : (**وإياك نستعين**)[2] لأن العبادة غاية القصد ، والاستعانة وسائل لها ، والمقاصد تقدم على الوسائل للتعظيم ، ثم ذكر اسمه قبل (**نعبد**) بقوله (**إياك**) إشارة إلى أن العابد لا يكون عابدا إذا لم يكن محق الحب من قلبه كل غير ، وسلب الذل لله كل من سواه .

والعبادة هى المقصد الأسمى للخلق أجمعين التى لأجلها خلق العرش والكرسى ، والإنس ، والجن ، والملائكة ، قال الله تعالى : ﴿ **وما خلقتُ الجنَّ والإنسَ إلا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون** ﴾[3] .

فالمتهاون بالعبادة متهاون بالمقصود الأعظم ، والمتساهل فيها متساهل بالحكمة التى لأجلها خلق ، وكل عابد لله متحقق بمعونة الله ، وليس كل مستعين بالله متحققا بعبادة الله ، لأن العبد قد يستعين بالله فيما ليس عبادة .

إذا تقرر ذلك فالعبادة كلمة جامعة لأنواع الخير كلها ، إذ العابد محب لله ، خاضع لله ، عامل بأحكام الله ، محافظ على سنة رسول الله ﷺ ، قائم بتأدية جميع شعب الإيمان ، من بر وصلة ، وعفو وإحسان ، وإكرام وتواضع ، وتوبة وإنابة ، ويقين وتوكل

---

(١) سورة الفاتحة آية ٥ .

(٢) سورة الفاتحة آية ٥ .

(٣) سورة الذاريات آية ٥٦ – ٥٧ .

وتفويض ، وغير ذلك من المعانى التى يحبها الله ، ولذلك فإن الله سبحانه وتعالى ، عند ثنائه ومدحه لطائفة من عباده يصفهم بالعباد ، فعندما أراد سبحانه وتعالى أن يثنى على الملائكة قال : ﴿ **بل عباد مكرمون** ﴾[1] وعند ثنائه على عباده بما جملهم به من الصفات قال : ﴿ **وعباد الرحمن** ﴾[2] وقال : ﴿ **وكانوا لنا عابدين** ﴾[3] : وقال : ﴿ **يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم** ﴾[4] ﴿ **يا عباد فاتقون** ﴾[5] .

ولما كان أخص معانى العبادة كمال الذل مع الخضوع والحب قال ﷺ : (الدعاء مخ العبادة) .

وقال الله تعالى : ﴿ **ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين** ﴾[6] والعبادة فى الحقيقة هى أكمل أعمال القلوب والجوارح معا ، لأن المحبة والذل والاعتقاد والمشاهدة فيها من أعمال القلوب ، والحركات البدنية ـ من صلاة وزكاة وصيام وحج ونطق بالتوحيد ومسارعة إلى الخير ـ من أعمال الجوارح ، فالعبادة مع كونها المقصد الأعلى فى الحقيقة ونفس الأمر ـ هى حقيقة الشكر على سوابغ نعمائه وعميم آلائه ، قال تعالى : ﴿ **اعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادى الشكور** ﴾[7] فجعل سبحانه وتعالى

---

(١)سورة الأنبياء آية ٢٦ .
(٢) سورة الفرقان آية ٦٣ .
(٣) سورة الأنبياء آية ٧٣ .
(٤) سورة الزمر آية ٥٣ .
(٥)سورة الزمر آية ١٦ .
(٦) سورة الأنبياء آية ٩٠ .
(٧) سورة سبإ آية ١٣ .

الشكر عملا ، وجعل الشاكرين قليلين ، فالعابدون على التحقيق قليلون .

وقد فصلت مشاهد إلعمال عند كل نوع من أنواع العبادة فى كتاب : (معارج المقربين) فراجعه إن أحببت أن تكون منهم ، لأن رسالتى هذه خاصة ببيان ما عليه أهل الفرقة الناجية بالاختصار .

وليست العبادة عندهم _ رضى الله عنهم _ مجرد أعمال تؤدى بحركات وسكنات ، أو تكاليف يقوم بها العابد فى آنات مخصوصة ولحظات ، فإن تلك الأعمال ليست هى المقصودة بالذات ، بل المقصود روحها ، وسرها ، وحكمتها ، قال الله تعالى : ﴿ **لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم** ﴾[1] وقال الله تعالى : ﴿ **وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون** ﴾[2] وقال الله تعالى : ﴿ **إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر** ﴾[3] وقال الله تعالى : ﴿ **خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم** ﴾[4] فالمصلى المشاهد روح الصلاة لايقع فى فحشاء ولا منكر ، والصائم تارك ملاذه وشهواته ؛ المتألم بالجوع والعطش ؛ هو فى خير لذة بما يتألم به غيره ، وباذل الأموال _ مع كونها خرجت من ملكه ، ونقصت ماله حسا _ تزكت نفسه بها وتطهرت .

---

(١) سورة الحج آية ٣٧ .
(٢) سورة البقرة آية ١٨٤ .
(٣) سورة العنكبوت آية ٤٥ .
(٤) سورة التوبة آية ١٠٣ .

فلمشاهدى روح العبادة مشرب طهور لا يمازجه شيء لك
توحيدهم الخالص من الشوب ، فإن أكثر العمال يشوب إخلا
فى عملهم كدر بعض البواعث على العمل : كالرغبة فى الجنة ، و
الملاذ الباقية . ولكن العباد المخلصين ، صفت سريرتهم من ش
الشرك الخفى والأخفى ، فسقاهم ربهم شرابا طهورا صافيا .
يكون مزاجا لشراب غيرهم ، يطيب بقطرة منه شراب غيرهم ، قا
تعالى : ﴿ **إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا** ﴾[1] فبين سبحانه وتعا
شراب الأبرار يتناول لهم فى كأس ، وهذا الشراب ممزوج ب
العين الذى هو خالص شراب عباد الله المخلصين فى توحيده ،
العين – التى يفجرها عباد الله تفجيرا – إنما تجلى لسرهم من –
التوحيد بالتوحيد ، حتى تراءت له أنوار معنى الصفات والأ
بسر اتحاد التوحيد عن تنزل المزيد ، فهم – مع خالص توحيد
تتراءى لهم معانى الأسماء والصفات بمعانى واحد ، وأنوار أحد
الذى جعل العباد فى مقامات المحبوبين لله تعالى ؛ لمحبتهم له س
وتعالى ، هذا مايمكن أن يسطر من معانى العبادة على صف
الأوراق .

ولولا أن كشف سر الربوبية كفر لألمعتُ إلى شيء من غو
أسرار العبادة ولطائف حكمة قوله تعالى : ﴿ **وما خلقت والإنس إلا ليعبدون** ﴾[2] والله يهبك – أيها الأخ – مواهب
القرب من العباد ، ويوردك مواردهم بمحافظتك على العم
علمت ، إنه مجيب الدعاء .

---

(١) سورة الإنسان آية ٥ ، ٦ .

(٢) سورة الذاريات آية ٥٦ .

العابدون :

شرحت لك حقيقة العبادة قبل التكلم على العابدين ، حتى إذا فهمت ما هى العبادة أمكنك أن تتجمل بحقيقتها ، فتكون عند الله تعالى وعند رسوله ﷺ من العابدين ، وتكون عند العلماء ممن أثنى الله تعالى عليهم ، ومدحهم وشكرهم فى كتابه ، ولما كان إثبات صفة العبادة لا يتحقق للعبد إلا بمعنيين لابد منهما ، وبدونهما لايكون العابد عابدا إلا عند نفسه ، وهما :

١ – شهود أنه عبد له وجود بالله تعالى ، وعليه حقوق لله سبحانه وتعالى .

٢ – وشهود المنة عليه بتوفيق الله له بالقيام بما افترضه عليه ، وما ندبه إليه ، حتى يكون عبدا عاملا بمقتضى العبودية ، موحدا منزها الحق جل جلاله عن الشرك فى وحدة الأفعال ، فإن جهل حقيقته فى وجوده بالله تعالى وعبد الله ألف سنة غير مشاهد منة الله عليه ونعمته العظمى الواصلة إليه بتوفيقه بما كلفه به وطلبه منه ؛ كان عمله ممزوجا بالشرك ، محجوبا عن مكاشفة أنوار التوحيد ، وإن استغرق فى شهود قيومية الحق ـ فجمعته جمعا غير شرعى حتى أفنى الأحكام والرسوم فلم يقم لله بما كلفه به ـ كان فى فرق بمخالفته للأمر ، وإن كان مجموعا على الحقيقة بالمشاهد التى انبلجت له بكمال اعتقاده .

اللهم إلا إذا غلب الشهود فسلب قوة التكليف بجمع شرعى سابق ، ولديها لو شهد محو الوجود الكونى بمشاهدة قيومية وقدرة ، وإرادة ومشيئة الحق وغيبته عن شهود الحكمة ؛ كان ذلك ذوقا له قبول عندنا ولكننا نعتبره ناقصا لايكمل فى نظرنا إلا بأن يكون جامعا

فارقا ، وإن كانت لأهل الفرقة الناجية إشارات عالية ، وعبارات سامية تشير إلى الجمع على الحقيقة ؛ فإنهم رضى الله عنهم وأرضاهم ـ وهم فى أرقى مراتب جمعهم ـ أسرع الناس إلى القيام بالأمر ، والتقرب إلى الله بما يحب ، والعمل بما رغب فيه ، فهم فى جمعهم فى فرق ، وفى فرقهم فى جمع ، فإذا وقف الرجل منهم فى الصلاة استحضر أنه عبد مكلف ، وشهد منة الله عليه بالتوفيق والمعونة ، وأنه لا حول ولا قوة إلا بالله ، وواجه بسره وروحه وقلبه قدس الجبروت الأعلى ، وبجسمه بيت الله الحرام ، فكان جامعا فارقا ، وما عملوا عملا من القربات أو الواجبات إلا وهم على هذا الكمال الذى كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ ؛ ممن بلغ بهم الكشف مبلغا لا يبلغه أحد بعدهم من العابدين .

وليس بعد أصحاب رسول الله ﷺ أئمة يقتدى بهم ، فإنهم رضى الله عنهم وأرضاهم عنه ، كان أصغرهم فى جمع الجمع مع فرق الفرق فى آن واحد ، وسأكتب رسالة أبين فيها مذهب الحق للسادة الصوفية أشرح فيها مبدأهم الشرعى ، ومآخذهم الحقة ، والحقيقة أنه لا جمع إلا بعلم لدنى ، ولا علم لدنى إلا بعلم شرعى يكون العامل فيه عاملا عن علم بالأحكام وفهم للحكمة سر قوله ﷺ : « من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم » .

وإنما الجمع الذى يعنونه رضى الله عنهم هو ذوق أسرار التوحيد ، بعد استحضار معانى الصفات والأسماء ، ثم مشاهدة آيات الواحد سبحانه دالة على أنه القادر الحكيم الظاهر الباطن المريد الفاعل المختار ، وإن كان أنكر بعض الناس الجمع فلهم العذر لأنهم شهدوا بعض من يدعونه تائهين فى بيداء الجهالة بحكمة الله ، جاهلين بسر الأمر

والنهى ، قد أسقطوا الأحكام والأعمال ، وفارقوا الأئمة والجماعة ، فظن المنكرون أنهم أئمة هذا الطريق ، فشنعوا على الطريق وأهله .

ولو أن الله سبحانه وتعالى نبههم إلى أن يبحثوا عن عالم بالطريق وتربية النفوس والرقى إلى مشاهد الآيات الربانية منبلجة فى الكائنات ، حتى يبلغ بهم إلى أن يهجم بهم العلم على عين يقين ، وتقلص أفياء الأوهام ، وتذوب ثلوج الحظوظ والأهواء ؛ لعلموا أنه لابد من الجمع ، ومن لا جمع له فى الدنيا لا جمع له على الرحمن الرحيم المنعم المتفضل الرءوف اللطيف الودود يوم القيامة ، وإلا فالعابد الذى يرى أنه يعمل لله غافلا عن شهود منة الله عليه فى العمل بالعمل ، وأنه سبحانه هو الفاعل المختار لا شريك له فى عمل ما ، وأنه سبحانه يضل من يشاء ، ويهدى من يشاء ، وأن أحدا ما لا يمكنه إيجاد حركة ولا سكون إلا بإرادته وتقديره ، ومعونته وتدبيره ، لا يكون عابدا ولا تقبل عبادته ، وإن صام النهار ، وقام الليل .

وفى هذا الموضوع كم زلقت أقدام رجال ، وكم هوى فى هاويته عمال ، وكم انتقل إلى الباطل بسببه مدعون ، فمنهم من يعمل معتقدا أنه العامل ، ويرى عمله عظيما وهو مشرك بالله ، فمتى يقبل عمله ؟ كما قال ﷺ لأبى بكر : (الشرك أخفى من دبيب النمل يا أبا بكر ، فقال : وكيف الخلاص منه يارسول الله ؟ قال : قل : اللهم إنى أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم ، وأستغفرك لما لا أعلم) وإن عصاة المسلمين ربما يدعوهم إلى التوبة والإنابة إلى الحق اعتقادهم بأنهم مذنبون ، وهؤلاء لا يتوبون – مع شركهم – لحسن ظنهم بأنفسهم وتعظيمهم أعمالهم ، ولو علموا منة الله عليهم بالتوفيق والمعونة ؛

وتبين لهم مقام من يتقربون إليه بالعمل ويرفعونه ؛ لصغر فى أعينهم العمل ، ولغابوا بشهود المنة وذوق مشاهد التوحيد عن أنفسهم ، فجمعهم سبحانه على الحق .

ومنهم من يذوق بعض مبادىء أسرار التوحيد فيسقط الأمر والتكليف ، ويرى أن هذا مبادىء الجمع حقا !! ومتى يجمع الله عليه من خالف أمره وأسقط حكمه وحكمته ؟ .

نعم هو حال لابد منه للسالك المخلص حتى ينتشل من أوحال التوحيد ، ويخرج من حيطة الظلمة والتقييد إلى فسيح التنزيه والتفريد ، وروض الجمع بلا لبس من خلق جديد ، وليس هو بفهم وتعقل أو بعلم ونقل ، ولكنه ذوق لمشاهد علية ، وإشراق أنوار ربانية ، ومشاهدة آيات علية ، تلوح أسراره ، وتتوالى أنواره ، فينتج منها الحال القاهر ، والوجد الظاهر ، وتكون تلك المشاهد أكمل وأجمل بالقيام بالتكاليف ، حتى يحلو الجمع ويطيب الأنس ، ولا أطيل عليك ، فإنى بمشيئة الله تعالى سأوفى هذا الموضوع حقه فى موضعه ، ولكن الحال اقتضت أن أبين ما كان عليه الرجال العاملون بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ .

ولما كان القرآن المجيد صراطهم المستقيم ؛ ومنهجهم القويم ؛ وكان عمل رسول الله ﷺ هو الحقيقة التى يجاهدون أنفسهم ليتشبهوا بها تشبها يجعلهم صورة طبق الأصل على قدر استطاعتهم ؛ فأورد عليك الآيات التى أسسوا عليها طريقهم فى العبادة ، وأحسن الحديث كتاب الله تعالى ، وخير الهدى هدى سيدنا ومولانا محمد ﷺ ، ثم أذكر لك بعض ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذا الموضوع ، والله أسأل أن يمن علىّ وعليك وعلى إخوانى جميعا

بالمسارعة إلى العمل بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ إنه مجيب الدعاء .

الآيات التى أسسوا عليها طريقهم فى العبادة :

قال الله تعالى : ﴿ **ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا** ﴾[1] وقال عز وجل : ﴿ **من كان يريد حرث الآخرة نزد له فى حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله فى الآخرة من نصيب** ﴾[2]وقال سبحانه وتعالى : ﴿ **وأن ليس للإنسان إلا ما سعى وأن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الأوفى** ﴾[3] وقال جلت قدرته : ﴿ **كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم فى الأيام الخالية** ﴾[4] وقال سبحانه وتعالى : ﴿ **ولكل درجات مما عملوا** ﴾[5]وقال تبارك وتعالى : ﴿ **وما أموالكم ولا أولادكم بالتى تقربكم عندنا زلفى إلا من آمن وعمل صالحا فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا** ﴾[6] وقال سبحانه وتعالى : ﴿ **ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون** ﴾[7] وقال جل شأنه : ﴿ **فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعلمون** ﴾[8]وقال سبحانه وتعالى : ﴿ **نعم أجر العاملين الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون** ﴾[9] وقال جلت قدرته : ﴿ **لهم دار السلام عند ربهم وهو وليهم بما كانوا يعملون** ﴾[10] .

---

(١) سورة الإسراء آية ١٩ .
(٢) سورة الشورى آية ٢٠ .
(٣) سورة النجم آية ٣٩ - ٤١ .
(٤) سورة الحاقة آية ٢٤ .
(٥) سورة الأنعام آية ١٣٢ .
(٦) سورة سبإ آية ٣٧ .
(٧) سورة الأعراف آية ٤٣ .
(٨) سورة السجدة آية ١٧ .
(٩) سورة العنكبوت آية ٥٨ - ٥٩ .
(١٠) سورة الأنعام آية ١٢٧ .

لآيات التى أخذوا منها أورادهم بالليل والنهار :

قال الله تعالى : ﴿ وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا ﴾(١) وقال جل ثناؤه : ﴿ إن لك فى النهار سبحا طويلا ﴾(٢) ﴿ واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا . ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا ﴾(٣) وقال تعالى : ﴿ وسبح بحمد ربك حين تقوم ومن الليل فسبحه وإدبار النجوم ﴾(٤) وقال تعالى : ﴿ إن ناشئة الليل هى أشد وطأ وأقوم قيلا ﴾(٥) وقال تعالى : ﴿ ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى ﴾(٦) وقال تعالى : ﴿ أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ﴾(٧) وقال تعالى : ﴿ تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ﴾(٨) وقال عز وجل : ﴿ والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما ﴾(٩) وقال تعالى : ﴿ كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وبالأسحار هم يستغفرون ﴾(١٠) وقال تعالى : ﴿ أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا ومن الليل فتهجد به نافلة لك ﴾(١١) وقال تعالى : ﴿ وأقم الصلاة طرفى النهار وزلفا من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين ﴾(١٢) وقال

---

(١) سورة الفرقان آية ٦٢ .

(٢) سورة المزمل آية ٧ .

(٣) سورة الإنسان آية ٢٥ – ٢٦ .

(٤) سورة الطور آية ٤٨ – ٤٩ .

(٥) سورة المزمل آية ٦ .

(٦) سورة طه آية ١٣٠ .

(٧) سورة الزمر آية ٩ .

(٨) سورة السجدة آية ١٦ .

(٩) سورة الفرقان آية ٦٤ .

(١٠) سورة الذاريات آية ١٧ – ١٨ .

(١١) سورة الإسراء آية ٧٨ – ٧٩ .

(١٢) سورة هود آية ١١٤ .

سبحانه وتعالى : ﴿ **فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد فى السموات والأرض وعشيا وحين تظهرون** ﴾(١) .

بعض ماورد من الأحاديث فى هذا الموضوع :

قوله صلى الله عليه وسلم : (إنما الأعمالُ بالنياتِ وإنما لكل امرىء ما نوى فمن كانت هجرتهُ إلى الله ورسولِهِ فهجرتهُ إلى الله ورسولِهِ ومن كانت هجرتهُ إلى دنيا يصيبُها أو امرأةٍ ينكحُها فهجرتهُ إلى ماهاجرَ إليه) .

وقال صلى الله عليه وسلم : (من عمل بما علم ورثه الله عِلْمَ مالم يعلم) .

وقال عليه الصلاة والسلام : (من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه) .

وقال رسول الله ﷺ : (الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة) .

عباداتهم التى استنبطوها فى اليوم والليلة :

يستحب عند طلوع الفجر ـ وهو البياض المشتق من سواد الليل المعترض فى قطر السماء الشرقى عند إدبار النجوم ، وإدبارها افتراقها وذهاب ضوئها لغلبة ضوء الفجر عليها ، وهو الوقت الذى أمر الله تعالى فيه بذكره إذ يقول تعالى : ﴿ **ومن الليل فسبحه وإدبار النجوم** ﴾ ـ فليصل العبد ركعتى الفجر ، يقرأ فيهما ﴿ **قل يا أيها الكافرون** ﴾ ﴿ **قل هو الله أحد** ﴾ فهو أكثر ماروى عن النبى ﷺ فإن شاء خافت ، وإن شاء جهر ، فقد روى حديثان أحدهما يدل

---

(١) سورة الروم آية ١٧ - ١٨ .

على المخافتة ، فإن شاء خافت وهو حديث عائشة رضى الله عنها قالت : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخفف ركعتى الفجر حتى أقول : قرأ فيهما بفاتحة الكتاب أم لا » والآخر يدل على الجهر ، وهو حديث ابن عمر : « رمقت النبى ﷺ عشرين يوما فسمعته يقرأ فى ركعتى الفجر : ﴿ **قل يا أيها الكافرون** ﴾ و ﴿ **قل هو الله أحد** ﴾ .

وفى حديث أبى هريرة وابن عباس : (أنه قرأ صلى الله عليه وسلم فى الركعة الأولى الآية التى فى سورة البقرة : ﴿ **قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل** ﴾(١) إلى آخرها ، وفى الركعة الثانية : ﴿ **ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين** ﴾(٢) فليقرأ بذلك أحياناً ، ثم يستغفر الله سبعين مرة يقول فى كل مرة : أستغفر الله العظيم الذى لا إله إلا هو الحى القيوم . ويسأله التوبة ، ثم يسبح الله ويهلله ـ مائة مرة ـ بالكلمات الأربع الجامعات المختصرات التى هى فى القرآن : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر . وأستغفر الله وتبارك الله ـ مرة واحدة ـ وليدع بهذا الدعاء ، فإن رسول الله ﷺ كان يدعو به بعد ركعتى الفجر :

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : (بعثنى العباس إلى رسول الله ﷺ وعلى آله فأتيته ممسيا وهو فى بيت خالتى ميمونة ، فقام يصلى من الليل ، فلما صلى الركعتين قبل صلاة الفجر قال : اللهم

---

(١) سورة البقرة آية ١٣٦ .

(٢) سورة آل عمران آية ٥٣ .

إنى أسألك رحمة من عندك تهدى بها قلبى ، وتجمع بها شملى ، وتلم بها شعثى ، وترد بها إلفتى ، وتصلح بها علانيتى ، وتقضى بها دينى ، وتحفظ بها غائبى ، وترفع بها شاهدى ، وتزكى بها عملى ، وتبيض بها وجهى ، وتلقنى بها رشدى ، وتعصمنى بها من كل سوء .

اللهم أعطنى إيمانا صادقا ، ويقينا ليس بعده كفر ، ورحمة أنال بها شرف كرامتك فى الدنيا والآخرة .

اللهم إنى أسألك الفوز عند القضاء ، ومنازل الشهداء ، وعيش السعداء ، ومرافقة الأنبياء ، والنصر على الأعداء .

اللهم إنى أنزل بك حاجتى - وإن قصر رأيى وضعف عملى ، وافتقرت إلى رحمتك - فأسألك ياقاضى الأمور ، وياشافى الصدور - كما تجير بين البحور - أن تجيرنى من عذاب السعير ، ومن دعوة الثبور ، ومن فتنة القبور ، اللهم ما قصر عنه رأيى ، وضعف عنه عملى ، ولم تبلغه نيتى وأمنيتى - من خير وعدته أحدا من خلقك ، أو خير أنت معطيه أحدا من عبادك - فإنى أرغب إليك فيه ، وأسألك يارب العالمين .

اللهم اجعلنا هادين مهديين ، غير ضالين ولا مضلين ، حربا على أعدائك ، وسلما لأوليائك ، نحب بحبك الناس ، ونعادى بعداوتك من خالفك من خلقك .

اللهم هذا الدعاء وعليك الإجابة ، وهذا الجهد وعليك التكلان ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ولا حول ولا قوة إلا بالله ذى الحبل الشديد ، والأمر الرشيد ، أسألك الأمن يوم الوعيد ، والجنة يوم الخلود ، مع المقربين الشهود ، والركع السجود ، والموفين بالعهود ، إنك رحيم ودود ، أنت تفعل ما تريد .

سبحان الذى تعطف بالعز وقال به ، سبحان الذى لبس المجد وتكرم به ، سبحان الذى لاينبغى التسبيح إلا له ، سبحان ذى الفضل والنعم ، سبحان ذى القدرة والكرم ، سبحان الذى أحصى كل شي بعلمه .

اللهم اجعل لى نورا فى قلبى ، ونورا فى قبرى ، ونورا فى سمعى ، ونورا فى بصرى ، ونورا فى شعرى ، ونورا فى بشرى ، ونورا فى لحمى ، ونورا فى دمى ، ونورا فى عظامى ، ونورا من بين يدى ، ونورا من خلفى ، ونورا عن يمينى ، ونورا عن شمالى ، ونورا من وفوق ،ونورا من تحتى ، اللهم زدنى نورا ، واعطنى نورا ، واجعل لى نورا) .

فليدع العبد بهذا الدعاء بعد ركعتى الفجر ، لكن يقدم على دعائه المسألة لله تبارك وتعالى فى الصلاة على محمد ﷺ فيستجيب سبحانه وتعالى دعوته ولا يرده لقول الرسول ﷺ : « إذا سألتم الله تعالى فى حاجة فابدءوا بالصلاة عَلَىَّ فإن الله تعالى أكرم من أن يُسأل فى حاجتين فيعطى إحداهما ويرد الأخرى) ثم ليصل العبد صلاة الغداة فى جماعة ، ليكون فى ذمة الله تعالى وجواره ، وفى الحديث : (صلاة الغداة فى جماعة أفضل من قيام ليلة ، وصلاة العشاء الآخرة فى جماعة أفضل من قيام نصف ليلة) وليكن قائما فى صلاته بإلقاء سمع ، وشهود قلب ، وحضور عقل ، وجمع هم ، وصحة تيقظ ، وحسن إقبال ، وتدبر للكلام ، وترتيل وتفهم بالتماس غرائب التنزيل ، فإذا سلم من صلاته قال ما يستحب من الذكر .

أذكارهم بعد صلاة الصبح :

اللهم صلّ على محمد وآله ، اللهم أنت السلام ومنك السلام ، وإليك يعود السلام ، فحينا ربنا بالسلام ، وأدخلنا دار السلام ، تباركت ياذا الجلال والإكرام ، ثم ليقل : سبحان الله العظيم وبحمده (ثلاثا) ، ثم يستغفر الله (ثلاثا) ثم يقول : اللهم لا مانع لما أعطيت ، ولا معطى لما منعت ، ولا ينفع ذا الجد منك الجد .ثم ليقل ــ وهو ثان رجله من قبل أن يتكلم ــ هذه الكلمات عشر مرات : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، يحيى ويميت ، وهو حى لا يموت ، بيده الخير كله ، وهو على كل شيء قدير ، ثم ليقرأ وهو كذلك : ﴿ **قل هو الله أحد** ﴾ عشرا ويقول (أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم)﴾ ﴿ **رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون** ﴾[1] عشر مرات ــ وليقل : ﴿ **سبحان ربك رب العزة عما يصفون** ﴾[2] إلى آخر السورة ، ثلاث مرات ، وليقل : ﴿ **فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون** ﴾[3] إلى آخر الثلاث آيات ، ثلاث مرات ، ثم يسبح ثلاثا وثلاثين مرة ، ويحمد كذلك ، ويكبر أربعا وثلاثين ، فتلك مائة مرة .

وقال قبيضة بن مخارق للنبى صلى الله عليه وسلم : علمنى كلمات ينفعنى الله بها وأوجز ، فقد كبر سنى وعجزت عن أشياء كنت أعملها ، فقال : (أما لدنياك فإذا صليت الغداة ــ فقل ثلاث

---

(١) سورة المؤمنون آية ٩٧ — ٩٨ .

(٢) سورة الصافات آية ١٨٠ .

(٣) سورة الروم آية ١٧ .

مرات : سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم وبحمده ، لا حو
قوة إلا بالله ، فإنك إذا قلتهن أمنت من عمى وجذام وبرص و
وأما لآخرتك فقل : اللهم صل على محمد وآل محمد ، واهد
عندك وأفض عليّ من فضلك ، وانشر عليّ من رحمتك ، وأنز
من بركاتك) ثم قال رسول الله ﷺ : (أما أنه إذا وافى يو
القيامة لم يدَعْهُن فتح له أربعة أبواب من الجنة يدخل من أيها شاء

أدعيتهم المختارة بعد صلاة الصبح :

روى أن النبى صلى الله عليه وسلم كان إذا افتتح دعاء
بقوله : (سبحان ربى العلى الأعلى الوهاب) وأنه كان يقول
إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد يحيى ويميت
حى لا يموت ، بيده الخير وهو على كل شيء قدير ، لا إله إلا ا
النعمة والفضل والثناء الحسن ، لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه
له الدين ولو كره الكافرون) وقال صلى الله عليه وسلم لعائشة
الله عنها : (عليك بالجوامع الكوامل ، قولى : اللهم إنى أ
الصلاة على محمد وآله ، وأسألك من الخير كله عاجله وآ
علمت منه وما لم أعلم ، وأعوذ بك من الشر كله عاجله وآ
علمت منه وما لم أعلم ، وأسألك الجنة وما قرب إليها من قول و ع
وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل ، وأسألك
الخير ما سألك به عبدك ورسولك محمد ﷺ ، وأستعيذ
استعاذك منه عبدك ورسولك محمد ﷺ ، وأسألك ما قضيت
أمر أن تجعل عاقبته رشدا برحمتك يا أرحم الراحمين) .

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ
فاطمة ، ما يمنعك أن تسمعى ما أوصيك به ، أن تقولى :

ياقيوم برحمتك أستغيث فأغثنى ، ولا تكلنى إلى نفسى طرفة عين وأصلح لى شأنى كله) وعلم رسول الله ﷺ أبا بكر الصديق رضى الله عنه هذا الدعاء فقال : (قل : اللهم إنى أسألك بمحمد نبيك ، وإبراهيم خليلك ، وموسى نجيك وكليمك ، وعيسى روحك وكلمتك ، وبكلام موسى ، وإنجيل عيسى ، وزبور داود ، وفرقان محمد ﷺ ، وكل وحى أوحيته ، أو قضاء قضيته ، أو سائل أعطيته ، أو غنى أفنيته ، أو فقير أغنيته ، أو ضال هديته ، وأسألك باسمك الذى أنزلته على موسى ، وأسألك باسمك الذى ثبت به أرزاق العباد ، وأسألك باسمك الذى وضعته على الأرض فاستقرت ، وأسألك باسمك الذى وضعته على السموات فاستقلت ، وأسألك باسمك الذى وضعته على الجبال فأرست ، وأسألك باسمك الذى استقل به عرشك ، وأسألك باسمك المطهر الطاهر الأحد الصمد الوتر المنزل فى كتابك من لدنك من النور المبين ، وأسألك باسمك الذى وضعته على النهار فاستنار ، وعلى الليل فأظلم ، وبعظمتك وكبريائك ، وبنور وجهك أن تصلى على محمد نبيك وعلى آله ، وأن ترزقنى القرآن والعلم ، وتخلطه بلحمى ودمى وسمعى وبصرى ، وتستعمل به جسدى بحولك وقوتك ، فإنه لا حول ولا قوة إلا بك يا أرحم الراحمين) .

وروى عن ابن عمر رضى الله عنهما أن جبريل عليه السلام أتى النبى صلى الله عليه وسلم فعلمه هذا الدعاء : (يانور السموات والأرض ، ياجمال السموات والأرض ، ياعماد السموات والأرض ، يابديع السموات والأرض ، ياذا الجلال والإكرام ، ياصريخ المستصرخين ، ياغوث المستغيثين ، يامنتهى رغبة الراغبين ، والمفرج

عن المكروبين ، والمروح عن المغمومين ، ومجيب دعوة المضطرين ، وكاشف السوء ، وأرحم الراحمين ، وإله العالمين ، منزول بك كل حاجة يا أكرم الأكرمين ، ويا أرحم الراحمين) .

وعن ابن عمر أيضا رضى الله عنهما قال : لم يكن النبى صلى الله عليه وسلم يدَع أن يدعو بهؤلاء الكلمات حين يصبح وحين يمسى : (اللهم إنى أسألك العافية فى الدنيا والآخرة ، وأسألك العفو والعافية فى دينى ودنياى وفى أهلى ومالى ، اللهم استر عوراتى ، وآمن روعاتى وأقل عثراتى ، اللهم احفظنى من بين يدى ومن خلفى ، وعن يمينى وعن شمالى ومن فوقى ، وأعوذ بك أن أغتال من تحتى) .

وقال بريد الأسلمى : قال لى رسول الله ﷺ : (يا بريد ، ألا أعلمك كلمات من أراد الله عز وجل به خيرا علمهن إياه ثم لم ينسهن إياه أبدا ، قال : قلت : بلى يا رسول الله صلى الله عليك ، قال : قل : اللهم إنى ضعيف فقو فى رضاك ضعفى ، وخذ إلى الخير بناصيتى ، واجعل الإسلام منتهى رضاى ، اللهم إنى ضعيف فقونى ، وإنى ذليل فأعزنى ، وإنى فقير فأغننى ، برحمتك يا أرحم الراحمين) .

وعن أبى مالك الأشجعى قال : حدثنى أبى قال : كنا نغدو إلى النبى صلى الله عليه وسلم فيجىء الرجل ـ أو تجىء المرأة ـ فيقول : كيف أقول يارسول الله إذا أصبحت ؟ قال : (تقول : اللهم صل على محمد وآله ، واغفر لى وارحمنى واهدنى وارزقنى وعافنى واجبرنى ، فقد جمعن لك خير دنياك وآخرتك) .

عن عمر بن عبد العزيز عن محمد بن عبيد الله قال : أتى أبو الدرداء فقيل له : احترقت دارك ، فقال : ما كان الله عز وجل

ليفعل . ثم أتاه آت فقال : يا أبا الدرداء إن النار حيث دنت من دارك طفئت ، فقال : قد علمت ، فقيل له : ماندرى أى قوليك أعجب ؟ قال : إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : من قال هؤلاء الكلمات فى ليل أو نهار لم يضره شيء وقد قلتهن وهى : (اللهم أنت ربى ، لا إله إلا أنت ، عليك توكلت وأنت رب العرش العظيم ، لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، ما شاء الله عز وجل ربى كان ، وما لم يشأ لم يكن ، أعلم أن الله على كل شيء قدير ، وأن الله قد أحاط بكل شيء علما ، اللهم إنى أعوذ بك من شر نفسى ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها ، إن ربى على صراط مستقيم) .

أعمالهم بعد صلاة الغداة :

وهو أن يأخذ فى تلاوة القرآن وفى أنواع الذكر من التسبيح والحمد والثناء ، وفى التفكر فى عظمة الله سبحانه وتعالى وآلائه ، وفى تواتر إحسانه ونعمائه من حيث يحتسب العبد ومن حيث لا يحتسب ، وفيما يعلم العبد وفيما لا يعلم ، ويتفكر فى تقصيره عن الشكر فى ظواهر النعم وبواطنها ، وعجزه عن القيام بما أمره من حسن الطاعة ودوام الشكر على النعمة ، أو يتفكر فيما عليه من الأوامر والنوادب فيما يستقبل ، أو يتفكز فى كثيف ستر الله تبارك وتعالى عليه ، ولطيف صنعه به ، وخفى لطفه له ، وفيما اقترف وفرط فيه من الزلل ، وفى فوت الأوقات الخالية من صالح العمل .

أو يتفكر فى حكم الله تعالى فى الملك ، وقدرته فى الملكوت ، وآياته وآلائه فيهما ، أو يتفكر فى عقوبات الله عز وجل وبلائه الظاهرة والباطنة فيها ، ومن ذلك قوله عز وجل : ﴿ **وذكرهم بأيام**

الله ﴾[1] قيل : بنعمته ، وقيل : بعقوباته ، ومنه قوله عز وجل : ﴿ **فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون** ﴾[2] ومثله :﴿ **فبأى آلاء ربكما تكذبان** ﴾[3] أى : بأى نعمة تكذبان ﴿ **يا معشر الجن والإنس إن استطعتم** ﴾[4] وهما الثقلان .

ففى أى نوع من هذه المعانى أخذ فيه فهو ذكر ، والذكر عبادة ، وهو يخرج إلى الفكر ، والفكر يدخل فى الخوف والرجاء ، والذكر إذا قوى صار مشاهدة كما قال عز وجل : ﴿ **يذكرون الله قياما** ﴾ ثم قال : ﴿ **ويتفكرون فى خلق السموات والأرض** ﴾ ثم قال : ﴿ **سبحانك فقنا عذاب النار** ﴾[5] ولا يكون مشاهدة إلا عن يقين ، واليقين روح الإيمان ومزيده وغنى المؤمن ، وقال بعض العلماء فى تفسير قوله صلى الله عليه وسلم : (تفكر ساعة خير من عبادة سنة) وهو التفكر الذى ينقل من المكاره إلى المحاب ، ومن الرغبة والحرص إلى القناعة والزهد ، وقيل : هو التفكر الذى يظهر مشاهدة وتقوى ، ويحدث ذكرا وهدى ؛ كقوله تعالى : ﴿ **واذكروا مافيه لعلكم تتقون** ﴾[6] وكقوله تعالى : ﴿ **لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكرا** ﴾[7] ومثله ﴿ **يبين الله**

---

(١) سورة إبراهيم آية ٥ .
(٢) سورة الأعراف آية ٦٩ .
(٣) سورة الرحمن آية ١٣ .
(٤) سورة الرحمن آية ٣٣ .
(٥) سورة آل عمران آية ١٩١ .
(٦) سورة الأعراف آية ١٧١ .
(٧) سورة طه آية ١١٣ .

لكم الآيات لعلكم تتفكرون فى الدنيا والآخرة ﴾[1] أى : يفعلون لما يبقى ، ويرغبون فيما يدوم ، ويزهدون فيما يفنى .

وقد جعل الله عز وجل البيان يعلمنا اقتضاء الشكر عليه فقال : **﴿ يبين الله لكم آياته لعلكم تشكرون ﴾**[2] وكما قال تعالى : **﴿ واذكروا ما فيه لعلكم تتقون ﴾**[3] .

وقد وصف أعداءه بعد ذلك فقال : **﴿ الذين كانت أعينهم فى غطاء عن ذكرى ﴾**[4] وقالت أم الدرداء : كانت أكثر عبادة أبى الدرداء التفكر ، وقد كان يقول : ما يسرنى أن أربح فى كل يوم ثلاثمائة دينار أنفقها فى سبيل الله عز وجل ، قيل : ولم ذلك ؟ قال : يشغلنى ذلك عن التفكر .

أو يعتقد حسن النيات ، وينوى جميل الطويات فيما بينه وبين الخالق تعالى ، وفيما بينه وبين الخلق ، أو يستغفر الله تعالى ويجدد التوبة لما مضى من عمره ، ولما يتأتى من مستقبله ، أو يخلص الدعاء بمسكنة وتضرع ، وتملق وتخشع ، ووجل وإخبات ، إلى أن يعصمه من جميع المنهى ، وأن يوفقه لصالح الأعمال ، ويتفضل عليه برغائب الإفضال ، وهو فى ذلك فارغ القلب مجرد الهم ، موقن بالإجابة ، راض بالقسم ، أو يتكلم بمعروف وخير ويدعو به إلى الله تعالى وينفع به أخاه ، ويعلم من هو دونه فى العلم ، فهذه كانت أذكار المتقدمين وأفكار السالفين .

---

(١) سورة البقرة آية ٢١٩ – ٢٢٠ .

(٢) سورة المائدة آية ٨٩ .

(٣) سورة البقرة آية ٦٣ .

(٤) سورة الكهف آية ١٠١ .

وقد كان الذكر والفكر من أفضل عبادة العابدين ، وهو طريق مختصر إلى رب العالمين ، ففى أى هذه المعانى أخذ ؛ فهو ذاكر الله عز وجل ، فلا يزال كذلك وهو فى جميع ذلك مستقبل القبلة فى مصلاه . وقد كانوا يكرهون الكلام بغير معروف وتقوى من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس ، ومنهم من يشدد فى ذم الكلام من الفجر إلى صلاة الغداة بغير ذكر وبر ، وهذه سنة قد خملت ، فمن عمل بها فقد ذكرها .

ذكر أوراد النهار وهى سبعة :

وهذا هو الورد الأول من النهار ـ وفى النهار سبعة أوراد ـ

الورد الأول :

أولها من طلوع الفجر الثانى إلى طلوع الشمس ، وهو الوقت الذى أقسم الله عز وجل به فقال : ﴿ **والصبح إذا تنفس** ﴾[1] فتنفسه من طلوع الفجر الثانى إلى طلوع الشمس ، وهو الظل الذى أمده الله تعالى لعباده ، ثم قبضه إليه ببسطه الشمس عليه ، وأظهر من آياته وجعله كشفا له ودليلا عليه ، فقال سبحانه : ﴿ **ألم تر إلى ربك كيف مد الظل** ﴾ يعنى بسطه ﴿ **ولو شاء لجعله ساكنا** ﴾ يعنى مقيما على حاله لا يتحول ﴿ **ثم جعلنا الشمس عليه دليلا** ﴾[2] يقول : كشفناه بها ، ففيه أن الدليل هو الذى يكشف المشكل ، ويرفع المشتبه ﴿ **ثم قبضناه إلينا قبضا يسيرا** ﴾[3] يعنى أن الظل من تحت الشمس قبض قبضا يسيرا ، أى : خفيفا لا يُفطن له ولا يُرى فاندرج الظل فى الشمس بقدرته ، اندراج الظلمة فى النور إذا دخل عليها بحكمته .

وهو الإصباح والفلق الذى يُمْدَح الله عز وجل بِفَلْقه ، وأمرنا بالتنزيه له عنده ، والاستعاذة من شر ما خلق فيه فقال عز وجل : ﴿ **فالِق الإصباح** ﴾[4] وقال ﴿ **فسبحان الله حين تمسون وحين**

(١) سورة التكوير آية ١٨ .
(٢) سورة الفرقان آية ٤٥ .
(٣) سورة الفرقان آية ٤٦ .
(٤) سورة الأنعام آية ٩٦ .

تصبحون ﴾[1] أى : فسبحوه بالصلاة عندهما ، وقال ﴿ **قل أعوذ برب الفلق من شر ما خلق** ﴾[2] يعنى فلق الصبح .

فإذا أمن العبد الفتنة والكلام فيما لا يعنيه ، والاستماع إلى شبهة من القول ، وأمن النظر إلى ما يكره أو يشغله عن الذكر ، أو يذكره الدنيا ، أمن من دخول الآفة عليه من التزين والتصنع للناس ، ورزق الشغل بمولاه ، والإخلاص له بالإعراض عمن سواه ، فقال ما ذكرناه من الذكر فى مصلاه ، أو فى مسجد للجماعة فهو أفضل .

وإن لم يأمن الفتنة ، وخشى دخول الآفة عليه من لقاء من يكره ، ومن يلجئه إلى تقية ومداراة ، أو خاف الكلام فيما لا يعنيه ، أو الاستماع إلى ما لا يندب إليه ؛ انصرف إذا صلى الغداة إلى منزله ، أو إلى موضع خلوة ، بعد أن يقول : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو حى لايموت ، بيده الخير وهو على كل شيء قدير ــ عشر مرات فى مصلاه ــ وهو ثان رجله قبل أن يقوم ، ويقرأ : ﴿ **قل هو الله أحد** ﴾ ــ عشرا ــ قبل أن يتكلم ، فقد اشترط ترك الكلام فى هذين الحديثين اللذين وردا فيهما .

ثم أتى ببقية ورده فى بيته ، أو فى خلوته ، وهو فى ذلك مستقبل القبلة وهذا حينئذ أفضل له ، وأجمع لقلبه ، ولا يقدم على التسبيح لله عز وجل والذكر له بعد صلاة الغداة وقبل طلوع الشمس إلا أحد معنيين ، معاونة على بر وتقوى فرض عليه ، أو ندب إليه ما يختص به لنفسه ، أو يعود نفعه على غيره ، ويكون ذلك أيضا مما يخاف فوته بفوت وقته .

والمعنى الآخر يكون إلى تعلم علم ، أو استماعه مما يقربه إلى الله

(١) سورة الروم آية ١٧ .

(٢) سورة الفلق آية ١ ــ ٢ .

تعالى فى دينه وآخرته ، ويزهده فى الدنيا ، والمسارعة إلى العلماء بالله عز وجل الموثوق بعلمهم ، وهم علماء الآخرة أولو اليقين والهدى الزاهدون فى فضول الدنيا ، ويكون فى طريقه ذاكرا الله عز وجل ، أو متفكرا فى أفكار العقلاء عن الله عز وجل . فإن اتفق له هذان فالغدو إليهما أفضل من جلوسه فى مصلاه ، لأنها ذكر لله تعالى وعمل له وطريق إليه على وصف مخصوص ومندوب إليه ، قال الله عز وجل : ﴿ **ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه** ﴾[1] وقال النبى ﷺ : (من غدا من بيته فى طلب العلم فهو فى سبيل الله حتى يرجع) وقال ابن مسعود رضى الله عنه : (اغدُ عالما أو متعلما أو مستمعا ، ولا تكن الرابع فتهلك) .

والغدو والغداة تكون قبل طلوع الشمس ، وفى الخبر : (من خرج من بيته فى طلب العلم فهو فى سبيل الله عز وجل حتى يرجع ، ومن خرج من منزله يلتمس علما وضعت له الملائكة أجنحتها رضا بما صنع ، واستغفر له دواب الأرض وملائكة السماء وطير الهواء وحيتان الماء) وفى حديث أبى ذر الغفارى : (حضور مجلس عالم أفضل من صلاة ألف ركعة ، وأفضل من شهود ألف جنازة ، ومن عيادة ألف مريض ، قيل : ومن قراءة القرآن ؟ فقال : وهل تنفع قراءة القرآن إلا بعلم) فإن لم يتفق له أحد هذين المعنيين فقعوده فى مصلاه ، أو فى مسجد جماعته ، أو فى بيته ، أو فى خلوته ، ذاكرا الله تعالى بأنواع الأذكار ، أو متفكرا فيما فتح له بمشاهدة هذه الأفكار فى مثل هذه الساعة أفضل له مما سواهما . وقال عليه الصلاة

---

(١) سورة الأنعام اية ٥٢ .

والسلام : (لأن أقعد فى مسجد أذكر الله عز وجل فيه من صلاة الغداة إلى طلوع الشمس أحب إلىَّ من أن أعتق أربع رقاب) وعن الحسن رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يذكر من رحمة ربه أنه قال : (يا ابن آدم اذكرنى من بعد صلاة الفجر ساعة ، وبعد صلاة العصر ساعة ، أكفك ما بينهما) .

الورد الثانى :

فإذا ارتفعت الشمس وابيضت صلى الضحى ثمانى ركعات ، وهذا الوقت هو الذى ذكره الله عز وجل فى قوله تعالى : ﴿ **يسبحن بالعشى والإشراق** ﴾[1] ثم ينظر ؛ فإن علم مريضا عاده ، وإن حضرت جنازة شيعها ، وإن كانت معونة على بر وتقوى سعى فيها ، وإن كانت حاجة لأخ من إخوانه قضاها ، وإن كانت فرضا يلزمه القيام به سارع إليه ، وإن لاح له فضل ندب إليه انتهزه قبل فوته . فهذا أفضل شيء يعمله بعد الأذكار والأفكار من بعد طلوع الشمس ، هذا هو الورد الثانى من النهار ، وهو الضحى الأعلى الذى أقسم الله تعالى به فقال : ﴿ **والضحى** ﴾[2] أى : إذا أضحت الأقدام بحر الشمس .

وإذا كان العبد على ذلك فقد اتبع ما أنزل من ربه عز وجل وقد سمع قوله تعالى : ﴿ **اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم** ﴾[3] لأنه قال : ﴿ **إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذى حرمها** ﴾[4] ثم قال :

---

(١) سورة ص آية ١٨ .
(٢) سوره الضحى آية ١ .
(٣) سورة الأعراف آية ٣ .
(٤) سورة النمل آية ٩١ .

﴿ **وأن أتلوَ القرآن** ﴾[1] وكما قال تعالى : ﴿ **اتل ما أوحى إليك من الكتاب وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر** ﴾[2] وصلاة الضحى فى هذا الوقت أفضل ـ وهو حقيقة وقتها لوجود اسمها ـ وقد خرج على أصحابه عليه الصلاة والسلام وهم يصلون عند الإشراق فنادى بأعلى صوته : (ألا إن صلاة الأوابين إذا رمضت الفصال) وقوله : (الأوابين) يعنى التوابين فى كل وقت .

الورد الثالث :

ليأخذ العبد بعد ذلك فيما ندب إليه وأبيح له ـ من التصرف فى معاش إن كان من تجارة بصدق ، أو صناعة بنصح ـ إن أحوج إلى ذلك ، وأدنى أحواله الصمت والنوم ، ففيهما سلامة من الآثام ومخالطة الأنام ، فقد جاء فى العلم : يأتى على الناس زمان يكون أفضل أعمالهم الصمت وأفضل أعمالهم النوم . ومن الناس من يكون أحسن أحواله النوم ، وليت العبد يكون فى اليقظة كالنوم ؛ إذ فى نومه سلامة ، والسلامة متعذرة فى يقظته ، وإنما الفضائل للأفاضل الذين زادوا على السلامة والعدل بالإحسان والفضل ، هذا لوجود الآفات فى الأحوال ، وخروج الإخلاص من الأعمال ، وهذا هو الورد الثالث من النهار .

الورد الرابع :

ثم يتوضأ للصلاة قبل دخول وقتها ، وهو من المحافظة عليها ،

---

(١) سورة النمل آية ٩٢ .

(٢) سورة العنكبوت آية ٤٥ .

والإقامة لها ، فإن حصلت كفايته فى يومه وقوته فى وقت من النهار ؛ ترك السوق ودخل بيته ، أو قعد فى بيت مولاه تعالى ، واشتغل بخدمته متزودا لعاقبته ، وقد كان الصالحون كذلك يفعلون .

وقال بعضهم : لا يوجد المؤمن إلا فى ثلاثة مواطن : مسجد يعمره ، أو بيت يستره ، أو حاجة لابد له منها . فإذا زالت الشمس فإن أبواب السماء تفتح للمصلين ، والذاكرين ، ويستجاب الدعاء للمؤمنين . وهذا هو الورد الرابع من النهار ، فليصل الزوال أربع ركعات يطيل فيها القراءة ويحسنها ، ولا يفصل بينها بتسليم – هذه الصلاة وحدها من بين صلاة النهار أربع ركعات بتسليمه واحدة – وهذا الورد هو الإظهار الذى ذكر الله عز وجل الحمد فيه فقال :
﴿ وله الحمد فى السموات والأرض وعشيا وحين تظهرون ﴾(١)
وليتق العبد الصلاة عند استواء الشمس فى كبد السماء ، وهو قبل الزوال عند تقلص الظل ، وقيام ظل كل شيء تحته ، فإذا زال الظل فقد زالت ، وقد خفى استواؤها فى الشتاء لقصر النهار ، ولعدول الشمس فى سيرها عن وسط الفلك فتقطع عرضا ، فيكون أقرب لغروبها فليقدر ذلك تقريبا ، ومقدار استوائها قبل زوالها نحو أربع ركعات بجزء من القرآن أو قدر جزء ، وهو آخر الورد الثالث ، وإنما فيه ورد القراءة والتسبيح والتفكر ، وهو أحد الأوقات الخمسة التى نهى النبى ﷺ عن الصلاة فيها ، والأربعة الأخر :

عند طلوع الشمس حتى ترتفع قدر رمحين فى عين الناظر ،
وعند تدليها للغروب حتى تحتجب ، وبعد صلاة الصبح ،
وبعد صلاة العصر .

---

(١) سورة الروم آية ١٨ .

وأحب له الإحياء ما بين الأذان والإقامة بالركوع لأنها ساعة مستجاب فيها الدعاء ، وتفتح فيها أبواب السماء ، وتزكو فيها الأعمال ، وأفضل أوقات النهار أوقات الفرائض ، فإن لم يقرأ بين الأذانين من درسه فاستحب له أن يقرأ فى تنفله الآى التى فيها الدعاء ، مثل آخر سورة البقرة ، وآخر سورة آل عمران ، ومن تضاعيف السور الاثنتين والثلاث مثل قوله تعالى : ﴿ **أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا** ﴾[1] ومثل قوله تعالى : ﴿ **ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا** ﴾[2] وقوله تعالى : ﴿ **ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير** ﴾[3] وإن قرأ الآية التى فيها التعظيم والتسبيح والأسماء الحسنى فحسن ، مثل أول سورة الحديد وآخر سورة الحشر ، ومثل آية الكرسى ، و ﴿ **قل هو الله أحد** ﴾ ليكون بذلك جامعا بين التلاوة والدعاء ، وبين الصلاة والتعظيم والمدح بالأسماء .

ثم يصلى الظهر فى جماعة ، ولايدع أن يصلى قبلها أربعا ، وبعدها أربعا ركعتين بعد ركعتين ، وهذا آخر الورد الرابع من النهار ، وهو أقصر الأوراد وأفضلها .

الورد الخامس :

فإن كان قد رقد قبل الزوال فلا يرقد فى هذا الورد فإنه يكره له نومتان فى يوم ، كما يكره له نوم النهار من غير سهر بالليل ، وعن بعض العلماء : ثلاث يمقت الله عليها : الضحك من غير عجب ، والأكل من غير جوع ، ونوم النهار من غير سهر بالليل .

(١) سورة الأعراف آية ١٥٥ .
(٢) سورة آل عمران آية ٨ .
(٣) سورة الممتحنة آية ٤ .

وإن لم يكن قد رقد ؛ فأحب أن ينام بين الظهر والعصر ليتقوى بذلك على قيام الليل ، فلينم فإن نومه بعد الظهر لليلة المستقبلة ، ونومه قبل الظهر لليلة الماضية ، فإن دام سهره بالليل واتصلت أوراده بالنهار حسن أن ينام قبل الظهر لما سلف من ليله ، وينام بعد الظهر لما غبر من الأخرى ، إلا أنه لا يستحب أن يزيد فى اليوم والليلة أكثر من نوم ثمانى ساعات ، ومن الناس من يقول : إنه إن نقص من نوم هذا المقدار فى اليوم والليلة اضطرب بدنه ، لأن النوم قوة الجسم وراحته ، قال الله تعالى : ﴿ **وجعلنا نومكم سباتا** ﴾[1] أى : راحة ، كما قال سبحانه ﴿ **وجعلنا النهار معاشا** ﴾[2] إلا أن يكون السهر عادة ؛ فإن العادة قد تعمل عمل الطبع وتنقل عن العرف فلا يقاس عليها .

وإحياء ما بين الظهر والعصر ـ وهو صلاة الغفلة ـ وهو يشبه بقيام الليل ويستحب العكوف فى المسجد بين الأولى والعصر للصلاة والذكر ، ليجمع بين الاعتكاف والانتظار للصلاة ، فقد كان ذلك من سنة السلف ، فكان الداخل يدخل المسجد بين الظهر والعصر فيسمع للمصلين دويا كدوى النحل من التلاوة .

إلا أن يكون بيته أسلم لدينه وأجمع لقلبه ، فالأسلم هو الأفضل ، وكذلك إحياء الورد الثالث الذى هو بين الضحى الأعلى إلى زوال الشمس فوق هذا الفضل يدرك به العبد فوت قيام الليل ، لأن الناس فى هذين الوقتين مشغولون بطلب الدنيا ، وخدمة الهوى ، والقلب المتيقظ لربه عز وجل يفرغ فى هذين الوقتين ، ويسكن ، أو يجد العامل

(١) سورة النبإ آية ٩ .
(٢) سورة النبإ آية ١١ .

للعمل حلاوة ، وللإقبال والتفرغ لذة ، ويكون لفراغه من الخلق وشغله بالخالق مزيد وبركة ، وهذا أحد الوجهين فى قوله تعالى : ﴿ **وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا** ﴾(١) أى : جعلهما خلفتين يتعاقبان فى الفضل فيخلف أحدهما الآخر ، فمن فاته شيء من الليل قضاه فى هذين الوردين من النهار ، أحدهما من الضحى الأعلى إلى الزوال ، والثانى مابين الأولى والعصر . والوجه الثانى أن النهار كله خلفة من الليل ، فمن فاته شيء من عمل الليل قضاه بالنهار فكان منه بدلا ، ومن فاته شيء من أوراد النهار كان الليل خلفا ، إذ كل واحد منهما خلف من صاحبه ففيه درك مافات ، وخلف ما سلف من الذكر والشكر .

والذكر اسم جامع لأعمال القلوب كلها من مقامات اليقين ، ومشاهدة العلوم من الغيب ، والشكر أيضا يستعمل على جمل أعمال الجوارح من شرائع الإسلام جملة عمل العبد ، وكنه خدمته ، وهذان المعنيان هما اللذان ذكرهما الكليم للجليل فى قوله تعالى : ﴿ **كى نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا** ﴾(٢) انتظم التسبيح والذكر فى جمل تصرف الجسم ، وتصرف القلب ، وهذا هو الورد الخامس الذى هو ما بين العصرين ، وهو أصيل النهار ، وأحد الآصال التى ذكر الله عز وجل فيه سجود كل شيء وقرنه بالغدو فقال : ﴿ **ولله يسجد من فى السموات والأرض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال** ﴾(٣)

---

(١) سورة الفرقان آية ٦٢ .

(٢) سورة طه آية ٣٣ .

(٣) سورة الرعد آية ١٦ .

فما أقبح أن تكون الأشياء الموات لربها ساجدات ذاكرات ، والمؤمن الحى عن ربه معرض ذو غفلات .

ثم ليصل قبل صلاة العصر أربعا ، ويغتنم الصلاة بين الأذان والإقامة كما ذكرنا آنفا ، فإنها ساعة مرجوة فيها الإجابة .

الورد السادس :

. فإذا دخل وقت العصر دخل العبد فى الورد السادس من النهار وقد أقسم الله عز وجل به فى قوله : ﴿ **والعصر** ﴾[1] وهذا أحد المعنيين فى الآية ، وهو أحد الوجهين من الوقت فى الآصال الذى ذكره الله عز وجل ، وهو العشى الذى ذكر الله عز وجل التسبيح فيه والتنزيه والحمد له . فقال : ﴿ **وعشيا وحين تظهرون** ﴾ وقال : ﴿ **بالعشى والإشراق** ﴾[2] وليس فى هذا الورد صلاة إلا ما كان بين الأذانين ، ثم ينتقل بعد العصر فيما شاء من ذكر أو فكر ، من أعمال القلوب والجوارح فيما فرض عليه ، أو ندب إليه ، وأفضل ذلك تلاوة القرآن بتدبر وترتيل ، وتفهم وحسن تأويل .

الورد السابع :

فإذا اصفرت الشمس ، ومات حرها ، وارتفعت إلى أطراف الجدر ورؤوس الشجر ، فكانت مثلها حين تطلع ، دخل فى الورد السابع من النهار ، فهذا للتسبيح والذكر والتلاوة والاستغفار إلى غروب الشمس ، ومن أفضل ما قيل فى هذا الوقت وفى مثله من أول النهار أن يقول العبد : أستغفر الله لذنبى وسبحان الله بحمد ربى .

---

(١) سورة العصر آية ١ .
(٢) سورة ص آية ١٨ .

لجمعه بين الاستغفار والتسبيح لقوله تعالى : ﴿ **واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشى والإبكار** ﴾[1] والأفضل الاستغفار على الأسماء كما فى القرآن ، مثل أن يقول : أستغفر الله إنه كان غفارا ، أستغفر الله إنه كان توابا ، أستغفر الله إن الله غفور رحيم ، أستغفر الله التواب الرحيم ، رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين ، فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين ، وهذا الورد فى الفضل مثل الورد الأول من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس ، وهو المساء الذى ذكر الله تعالى التنزيه فيه قال : ﴿ **فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون** ﴾[2]وهو الطرف الثانى من النهار الذى أمر الله تعالى فيه بالتسبيح بقوله سبحانه : ﴿ **فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى** ﴾[3] .

ويستحب أن يقرأ قبل غروب الشمس : ﴿ **والشمس وضحاها** ﴾[4] ﴿ **والليل إذا يغشى** ﴾[5] والمعوذتين ، وأن تغرب الشمس عليه وهو فى الاستغفار ، فذلك مما أمر به فى هذا الوقت من الأذكار ، وكل ما يستحب من التسبيح والحمد والدعاء والذكر فى أول النهار قبل طلوع الشمس ؛ فإنه يستحب فى هذا الورد قبل غروب الشمس ، لأن الله تعالى قرنهما فى الذكر فقال تعالى : ﴿ **وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب** ﴾[6]

---

(١) سورة غافر آية ٥٥ .　　(٢) سورة الروم آية ١٧ .
(٣) سورة طه آية ١٣٠ .
(٤) سورة الشمس آية ١ .
(٥) سورة الليل آية ١ .
(٦) سورة ق آية ٣٩ .

وقال تعالى : ﴿ **وأطراف النهار لعلك ترضى** ﴾[1] وقال تعالى ﴿ **بالعشى والإبكار** ﴾[2].

وليقل عند أذان المغرب : اللهم هذا إقبال ليلك ، وإدبار نهارك ، وأصوات دعائك ، وحضور صلاتك ، وشهود ملائكتك ، صل على محمد وعلى آله ، وأعطه الوسيلة والفضيلة ، وابعثه المقام المحمود الذى وعدته . ثم ليقل : رضيت بالله تعالى ربا ، وبالإسلام دينا ، وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا ــ ثلاثا ــ وليقل مثله إذا سمع أذان الفجر ، إلا أنه يقول : اللهم هذا إدبار ليلك وإقبال نهارك ، والنص بهذا فى صلاة المغرب .

وكان الحسن البصرى يقول : كانوا أشد تعظيما لليل منهم لأول النهار ، وقال بعض السلف : كانوا يجعلون أول النهار للدنيا وآخره للآخرة .

فإذا توارت بالحجاب انقضت أوراد النهار السبعة .

فانظر أيها المسكين ماذا انقضى لك معها ، وماذا انقضى منك عندها ، وماذا قضى عليك فيها ، فقد قطعت من عمرك مرحلة ، ونقصت من أيامك يوما فماذا قطعت فى سفرك بقطع مرحلتك ؟ وماذا ازددت فى غدك بما نقصت من يومك ؟ قال النبى ﷺ : (الناس غاديان ، فغاد لنفسه فمعتقها ، أو راهن نفسه فموبقها) وقد قال تعالى فى تصديق قول رسول الله ﷺ : ﴿ **إن سعيكم لشتى** ﴾[3] وقال سبحانه فى معناه : ﴿ **كل نفس بما كسبت رهينة**

---

(١) سورة طه آية ١٧ .

(٢) سورة آل عمران آية ٤١ .

(٣) سورة الليل آية ٤ .

إلا أصحاب اليمين ﴾[1] وفى الخبر : لابورك لى فى يوم لا أزداد فيه خيرا . وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم : (إن الله عز وجل يبغض كل جعظرى جواظ ــ أى سمين كثير الأكل ــ صخاب بالأسواق ، جيفة بالليل ، حمار بالنهار ، عالم بأمر الدنيا ، جاهل بأمر الآخرة) .

أورادهم الليلية
وهى خمسة أوراد

الورد الأول :

أن يصلى بعد المغرب ست ركعات ، ويستحب ذلك قبل أن يكلم أحدا ، يقرأ فى الأولـيين ﴿ **قل يا أيها الكافرون** ﴾ و ﴿ **قل هو الله أحد** ﴾ وليسرع بهما بعد صلاة المغرب قبل أن يتكلم ويشتغل بشىء ، وفى الخبر (أسرعوا بركعتين بعد المغرب فإنهما يرفعان معها) فإن كان منزله قريبا من مسجده فلا بأس أن يركعهما فى بيته وليطل الأربعة الأخر ، وكان أحمد بن حنبل رحمه الله يستحب أن يصليهما الرجل فى بيته ــ وكذلك كان يفعل ــ ويقول : هو سنة ، لأنه روى أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يصليهما فى بيته . ولكن بيت رسول الله ﷺ كان فى مؤخر المسجد ، وقد صلاهما فى المسجد ، ثم ليصل بين العشاءين ما تيسر إلى أن يغيب الشفق الثانى ــ وهو البياض الذى يكون بعد ذهاب الحمرة وبعد غسق الليل وظلمته ، لأنه آخر مابقى من شعاع الشمس فى القطر الغربى إذا

---

(١) سورة المدثر آية ٣٨ – ٣٩

قطعت الأرض العليا ، ودارت من تحت الطبقة السفلى من الأرض بالنسبة لنا مصعدة تطلب المشرق ـ فهذا هو الوقت المستحب لصلاة العشاء الآخرة ، وهذا آخر الورد الأول من أوراد الليل ، والصلاة فيه ناشئة ـ أى : ساعاته ـ لأنه أول نشو ساعاته ، وهو من الآناء التى ذكرها الله عز وجل فى قوله تعالى : ﴿ **ومن آناء الليل فسبح** ﴾[(١)] فالآناء جمع آن ، أى وقت منه فصل ، وقيل : ناشئة الليل قيام الليل ، وهذا وافق لسان الحبشة الذى يقول : نشا ، إذا قام . وقد أقسم الله تعالى به فقال : ﴿ **فلا أقسم بالشفق** ﴾[(٢)] والشفق ما بين العشاءين .

وهى صلاة الأوابين ، ويقال أيضا : صلاة الغفلة ، قال يونس بن عبيد عن الحسن فى قوله تعالى : ﴿ **تتجافى جنوبهم عن المضاجع** ﴾[(٣)] قال : الصلاة بين العشاءين ، حتى قال أنس بن مالك رضى الله عنه ـ وقد سئل عمن نام بين المغرب والعشاء ـ فقال : لا تفعل ، فإنها الساعة التى وصف الله عز وجل المؤمنين بالقيام فيها فقال عز وجل : ﴿ **تتجافى جنوبهم عن المضاجع** ﴾ يعنى الصلاة بين المغرب والعشاء ، وقد سئل رسول الله ﷺ عن قوله تعالى : ﴿ **تتجافى جنوبهم عن المضاجع** ﴾ قال : ﴿ الصلاة فيما بين العشاءين ﴾ ثم قال : ﴿ عليكم بالصلاة فيما بين العشاءين فإنها تذهب بملاغاة أول النهار وتهذيب آخره ﴾ والملاغاة جمع ملغاة من اللغو ، أى : تسقط اللغو .

ويستحب العكوف فى المسجد بين العشاءين للصلاة وتلاوة

(١) سورة طه آية ١٣٠ .

(٢) سورة الاشفاق آية ١٦ .

(٣) سورة السجدة آية ١٦ .

القرآن ، فقد روى فضل ذلك ، إلا أن يكون بيته أسلم له لدخول آفة عليه ، فما سلم فيه أفضل له .

الورد الثانى :

ثم ليصل قبل العشاء الآخرة أربعا ، وبعدها ركعتين ثم أربعا ، ـ وكان صلى الله عليه وسلم يصليهن فى بيته أول ما يدخل قبل أن يجلس ـ فإن صلى بعد الأربع ثلاث عشرة ركعة آخرهن الوتر إن أحب ، فإن هذا العدد أكثر ماروى أن النبى ﷺ صلى به فى الليل ، إلا فى خبر مقطوع ـ وهو سبع عشرة ركعة ـ والمشهور أنه كان يصلى إحدى عشرة ركعة ، وثلاث عشرة ركعة .

فإذا فعل ذلك لم يكتب من الغافلين ، ودخل فى أحوال العابدين ، فقد قيل : إن الأكياس يأخذون أوقاتهم من أول الليل ، والأقوياء يأخذون أورادهم من آخر الليل .

روى عنه ﷺ فى السور التى لم يكن يدعها فى كل ليلة ثلاثة أحاديث أشهرها : (أنه لم يكن ينام حتى يقرأ المسبحات فى كل ليلة) وفى الخبر كان رسول الله ﷺ يحب ﴿ **سبح باسم ربك الأعلى** ﴾ فهذا يدل على أنه كان يكثر قراءتها ، ولا يدع أن يقرأ هذه الأربع سور فى كل ليلة : سورة يس ، وسورة لقمان ، وسورة الدخان ، وتبارك الملك . فإن لم يكن من عادته القيام من الليل قدم الوتر بنية الخبر المروى ، عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : (أوصانى رسول الله ﷺ أن لا أنام إلا على وتر) وإن كان معتادا لصلاة الليل فالأفضل تأخير الوتر إلى آخر صلاته من تهجده ، أو إلى السحر على حديث ابن عمر رضى الله عنه : (صلاة الليل مثنى مثنى فإذا خفت الصبح فأوتر بركعة) .

وفى حديث عائشة رضى الله عنها : (أوتر رسول الله ﷺ من أول الليل ، ومن أوسطه ، ومن آخره ، وانتهى وتره إلى السحر) فإن نام على وتر ، ورزق القيام لم يوتر بعده ، وكفاه وتره الأول لقوله ﷺ : (لا وتران فى ليلة) وقال بعض العلماء : يصلى ركعة واحدة يشفع بها وتره من أول الليل ، ثم يصلى صلاته من الليل ، ويوتر آخر صلاته . وقد روى فى هذا أثر عن سيدنا عثمان ، وسيدنا على رضى الله عنهما ، وإن كان قد صلى ركعتين من جلوس بعد وتره الأول ثم استيقظ للصلاة شفعتا وتره لأنهما بمنزلة ركعة واحدة يشفع بها ركعة الوتر التى صلاها قبلها ، ثم ليصل من الليل مستأنفا ما بدا له ، ثم يوتره بركعة واحدة فى آخر صلاته ، فيكون له فى ذلك ثلاثة أعمال : قصد الأمل ، وتحصيل الوتر ، والوتر من آخر الليل ، وكذلك كان رسول الله ﷺ يصلى ركعتين جالسا بعد وتره يقرأ فيهما جالسا (سورة الزلزلة) وسورة ﴿ **ألهاكم التكاثر** ﴾ فقد جاء ذلك فى حديثين أن النبى ﷺ كان يقرأ فيهما بذلك ، لما فى الزلزلة من التخويف والوعظ ، وفى رواية : ﴿ **قل يا أيها الكافرون** ﴾ لما فيها من التنزيه من عبادة سوى المعبود ، وإفراد العبادة لله سبحانه فيها بالتوحيد ، وكان ﷺ يقرأها عند النوم ، وأوصى رجلا بقراءتها عند منامه .

وتقديم الوتر مستحب لمن لم يكن عادته قيام الليل ، ولمن كان الأغلب عليه النوم ، وتأخير الوتر يكون لمن أخر صلاته قبل طلوع الفجر أفضل ، وليقل بعد التسليم من الوتر : سبحان الملك القدوس ، رب الملائكة والروح ، ملكت السموات والأرض بالعظمة والجبروت ، وتعززت بالقدرة ، وقهرت العباد بالموت .

يقول هذا ثلاث مرات ، وهذا هو الورد الثانى من الليل ـ أعنى الصلاة بعد العشاء الآخرة إلى حد نومة الناس ـ فقد أقسم الله عز وجل فى قوله : ﴿ **والليل وما وسق** ﴾[1] أى : وما جمع من ظلمته ، وذكره الله عزوجل فى قوله تعالى : ﴿ **إلى غسق الليل** ﴾[2] ثم ينام إن أحب وهو على طهارة وعن ذكر .

وقد كان الصالحون لا ينامون إلا عن غلبة ، ويكرهون المتعمد للنوم وهو التهيؤ للعادة ، وقد كان منهم من يمهد لنفسه بالنوم ليتقوى بذلك على صلاة أوسط الليل ، وآخره ، للفضل فى ذلك . ومن غلبه النوم حتى شغله عن الصلاة والذكر فإن السنة أن ينام حتى يعقل ما يقول وينشط فى خدمته ، وفى الخبر : (لا تكابدوا الليل) وقيل لرسول الله ﷺ : (إن فلانة تصلى من الليل فإذا غلبها النوم تعلقت بحبل ، فنهى عن ذلك وقال : ليصل أحدكم من الليل ما تيسر ، فإذا غلبه النوم فليرقد) وقال : (اكفلوا من العمل ما تطيقون ، فإن الله تعالى لا يمل حتى تملوا) .

وقيل له : إن فلانا يصلى الليل لا ينام ، ويصوم الدهر لا يفطر ، فقال ﷺ : (خير هذا الدين أيسره ، ثم قال : لكنى أصلى وأنام ، وأصوم وأفطر ، فهذه سنتى ، فمن رغب عن سنتى فليس منى) وقال صلى الله عليه وسلم : (لا تشادوا هذا الدين ، فإنه متين ، فمن يشاده يغلبه ، ولا تبغض إلى نفسك عبادة الله عز وجل) .

---

(١) سورة الانشقاق آية ١٧ .

(٢) سورة الإسراء آية ٧٨ .

الورد الثالث :

والورد الثالث أن يكون بعد نومة الناس ، وهو التهجد الذى ذكره الله تعالى فى قوله : ﴿ **ومن الليل فتهجد به نافلة لك** ﴾[1] وتلك النومة هى الهجوع الذى ذكره الله تعالى فقال : ﴿ **كانوا قليلا من الليل ما يهجعون** ﴾[2] فالهجوع : النوم ، والتهجع : القيام ، فهذا أوسط الأوراد ، وقد أقسم الله عز وجل به فى قوله تعالى : ﴿ **والليل إذا سجى** ﴾[3] وسئل رسول الله ﷺ : أى الليل أسمع ؟ فقال : (جوف الليل الغابر) .

الورد الرابع :

والورد الرابع يكون بين الفجرين ، أحدهما الفجر الأول وهو بدو سلطان شعاع الشمس ـ وهو فى اصطلاح الرجال أول ثلث الليل الآخر ، قبل طلوع الفجر الأول على اصطلاح الفقهاء .

وإنما هذا الفجر شعاع الشمس عند مرورها على السمت مقابل الأرض السفلى ، وانحرافها عنه إلى القسم الشرقى بالنسبة لنا ، فتسطع أشعة سلطان الشمس فى هذا الوقت حتى يحصل نور كنورها بعد غيبة الشفق الأحمر ووجود الشفق الأبيض ، ثم يحصل بعده فحمة الليل عند انحدار الشمس إلينا ، فالفجر الأول بعده ـ المصطلح عليه عند الفقهاء الذى يعبرون عنه بأنه شعاع كذيل السرحان ، ثم يمتد من الشرق إلى الغرب فى الأفق فيكون هو الفجر الصادق ـ وهذا هو الورد الرابع الذى يعتبر من نصف الليل إلى وقت السحر الأول المعبر عنه بالفجر الأول عندها .

(١) سورة الإسراء آية ٧٩ .
(٢) سورة الذاريات آية ١٧ .
(٣) سورة الضحى آية ٢ .

الورد الخامس :

ثم يدخل السحر الأخير ـ وهو اشتداد فحمة الليل ـ وفيه يكون الورد الخامس ، وفيه يستحب السحور ، فمن لم يتسحر فى أوله بغتته الفجر ، وهو قبل طلوع الفجر الثانى بمقدار قراءة جزء من القرآن وفى هذا الورد الخامس الاستغفار ، وقراءة القرآن ، وقد ذكره الله عز وجل فى قوله : ﴿ **وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا** ﴾[1] قيل : تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار ، لتوسط هذا الورد بينهما ، فهذا الورد هو أقصر الأوراد ومن أفضلها ، وهو من السحر الأول إلى طلوع الفجر الثانى ، ويصلح فى هذا الورد الخامس من السحر الأخير الصلاة لمن استيقظ من ساعته ، أو لمن تمم به صلاته ، فالصلاة فيه لها فضل عظيم ، ولأن معنى قوله عز وجل عند بعض المفسرين : ﴿ **وبالأسحار هم يستغفرون** ﴾[2] أى : يصلون ، وكذلك قوله عز وجل : ﴿ **وقرآن الفجر** ﴾ يعنى الصلاة ، فكنى بذلك القرآن والاستغفار عن الصلاة ، لأنهما وصفان منها ، وقد أمر بها سلمان أخاه أبا الدرداء ليلة أن زاره فى حدبث طويل قال فى آخره : فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء ليقوم فقال له سلمان : نم ، فنام ، ثم ذهب ليقوم فقال له : نم ، فنام ، فلما كان عند الصبح قال له سلمان : قم الآن ، فقاما وصليا ، فقال : إن لنفسك عليك حقا ، وإن لأهلك عليك حقا ، وإن لربك عليك حقا ، وإن لضيفك عليك حقا ، فأعط كل ذى حق حقه . وذلك أن امرأة

---

(١) سورة الإسراء آية ٧٨ .

(٢) سورة الذاريات آية ١٨ .

أبى الدرداء أخبرت سلمان أنه لا ينام الليل ، قال : فأتيا النبى ﷺ فذكر ذلك له فقال : (صدق سلمان) .

وهذا الورد الخامس يشبه الورد السابع من النهار قبل الغروب ـ فى فضل وقتيهما ـ وهذا قبل الفجر الثانى ، والفجر الثانى هو انشقاق شفق الشمس ، وهو بدو بياضها الذى تحته الحمرة وهو الشفق الثانى على ضد غروبها لأن شفقها الأول من العشاء وهو الحمرة بعد الغروب وبعد الحمرة البياض ، وهو الشفق الثانى من أول الليل ، وهو آخر سلطان الشمس ، وبعد البياض سواد الليل وغسقه ، ثم ينقلب ذلك إلى الضد فيكون بدو طلوعها الشفق الأول ، وهو البياض ، وبعده الحمرة وهو شفقها الثانى وبعده طلوع قرص الشمس .

فإذا طلع الفجر فقد انقضت أوراد الليل الخمسة ، ودخلت أوراد النهار ، فانظر هل دخلت فى دخوله عليك فى جملة العابدين ؟ أم خرج عنك وأنت فيه من الغافلين ؟ .

وأفضل ما عمل العبد فى ورد من أوراد الليل والنهار ـ بعد القيام بفرض يلزمه ، أو قضاء حاجة لأخيه المؤمن يعينه ـ الصلاة بتدبر الخطاب ، ومشاهدة المخاطب ، فإن ذلك يجمع العبادة كلها ، ثم بعد ذلك التلاوة بتيقظ عقل وفراغ هم ، ثم أى عمل فتح له فيه من فكر أو ذكر برقة قلب ، وخشوع جوارح ، ومشاهدة غيب ، فإن ذلك أفضل أعماله فى وقته .

ذكر وقت الفجر وحكم ركعتيه وحكم الوتر :

وفى الشهر ليلتان يعتبر بهما وقت الفجر ، إحداهما يطلع القمر فيها عند طلوع الفجر الأول ـ وهى ليلة ست وعشرين ـ والأخرى

يغيب القمر فيها عند طلوع الفجر ـ وهى ليلة اثنى عشرة من الشهر ـ وهذا الورد الأول من النهار ، ووقت الأداء للوتر من بعد صلاة العشاء الآخرة إلى طلوع الفجر الثانى . فإذا طلع الفجر الثانى فقد ذهب وقت الأداء ـ وهو وقت القضاء للوتر ـ فليصل الوتر حينئذ من لم يكن أداه إلى قبل صلاة الصبح ، فإذا صلى الصبح ذهب وقت قضاء الوتر أيضا ، ووقت الأداء لركعتى الفجر . إذا طلع الفجر الثانى فالمستحب له أن يصليهما فى منزله ، وقبل صلاة الغداة ، والسنة أن يخففهما ، فإذا صلى الصبح ولم يكن صلاهما فقد ذهب وقت الأداء وبقى له وقت القضاء ، فليمهل حتى تطلع الشمس وتحل الصلاة ، وهذا وقت القضاء لركعتى الفجر إلى صلاة الظهر ، فإذا صلى الظهر ولم يكن صلاهما فقد ذهب وقت قضائهما أيضا .

ومن فاته ورد من الأوراد ، فاستحب له فعل مثله فى وقته ، أو قبله إذا ذكره ـ لا على وجه القضاء فإنه لا يقضى إلا الفرائض ـ ولكن على وجه التدارك ورياضة النفس بذلك ليأخذ بالعزائم كى لا يعتاد التراخى والرخص ، ولأجل الخبر المأثور : (أحب الأعمال إلى الله أدْوَمُها وإن قل) وعن عائشة رضى الله عنها عن النبى ﷺ أنه قال : (مَن عَبَدَ الله تَعالى عبادة ثم تركها ملالة مقته الله تعالى) وقالت : (كان رسول الله ﷺ إذا غلبه النوم أو عاقه مرض فلم يقم فى تلك الليلة صلى من النهار اثنتى عشرة ركعة) ، ومن دخل المسجد لصلاة الصبح ، ولم يكن صلى ركعتى الفجر فى منزله صلاهما وأجزأتا عنه تحية المسجد ، ومن كان قد صلاهما فى بيته نظر : فإن كان دخوله المسجد بغلس عند طلوع الفجر واشتباك النجوم صلى ركعتين تحية المسجد ، وإن كان دخوله عند انمحاق

النجوم ومسفرا عند الإقامة قعد ولم يصل ركعتين ، لئلا يكون جامعا بين صلاة الصبح وبين صلاة قبلها . ولا يصلى بعد طلوع الفجر الثانى شيئا إلا ركعتى الفجر فقط .

ومن دخل المسجد ولم يكن صلى ركعتى الفجر ؛ فإن كان قبل الإقامة صلاهما ، وإن دخل وقت الإقامة وافتتح الإمام الصلاة فلا يصليهما ، وليدخل فى الصلاة المكتوبة فإنه أفضل ، والنهى فيه روى عن رسول الله ﷺ : (إذا أقيمت الصلاة فلا صلاة إلا المكتوبة) وليقل من قعد فى المسجد من غير صلاة ركعتين تحية المسجد : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر – أربع مرات – فإنها عدل ركعتين فى الفضل .

الفصل الثالث

أهل الفرقة الناجية هم الحامدون

الحامدون :

الحمد هو وصف المحمود سبحانه بصفات كماله التى تملأ القلب رهبة وذلا ، وصفات جلاله التى يكون العبد بها خائفا من مقام ربه ، خاضعا لجنابه العلى ، وصفات جماله التى تجذب الأرواح بخالص المحبة ، وصحيح الرضا عن الله سبحانه وتعالى ، ولذلك فقد عرف العلماء الحمد بأنه الثناء على الجميل الاختيارى ، وخصه بعضهم بأنه لا يكون إلا باللسان ، بخلاف الشكر ؛ فإنه ثناء على نعم ، فالحمد على كمال وجمال وجلال ذاتى ، والشكر على نعم تفاض ، ولذلك فلا يحمد فى الحقيقة إلا الله تعالى ، لأن كل أحد سوى الله تعالى لا كمال له ولا جمال له ولا جلال له من ذاته ، وكل كمال وجمال وجلال ينسب إلى غير الله تعالى فهو من الله سبحانه وتعالى إيجادا وإمدادا ، وهو ـ وإن كان فى نظر الخلق يعتبر شيئا يثنى به على من اتصف بحقيقته ـ إلا أنه فى الحقيقه ونفس الأمر ناقص وزائل ، ولكن كمالات الله لا تتناهى ولا بداية لها ، وحمده سبحانه وتعالى بقدر صفات كماله التى لا تحصى ولا تعد .

قال رسول الله ﷺ : (سبحانك لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك) وقال ﷺ : (لك الحمد اللهم ملء السموات وملء الأرض وملء ما شئت من شيء بعد) وفى قوله تعالى : ﴿ **هو**

الحى لا إله إلا هو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين ﴾[1] الإشارة إلى أن كلمة (**الحمد لله رب العالمين**) هى حقيقة التوحيد ، ولب العبودة لله سبحانه ، ومفتاح كنز العطايا الإلهية ، لأن قول (**الحمد لله رب العالمين**) الذى هو افتتاح سورة الفاتحة ـ التى هى السبع المثانى ، والقرآن العظيم ، وحقيقة الصلاة التى نصفها لله تعالى ونصفها لنا ـ دليل على أن هذه الكلمة هى روح التوحيد ، والسر الذى لأجله خلق الله السموات والأرض ، بل وخلق لأجله كل شيء ، لأنها حقيقة العبادة المرادة لجنابه العلى فى قوله سبحانه وتعالى : **﴿ وما خلقتُ الجنَّ والإنسَ إلا ليعبدون ﴾**[2] .

التوحيد الحقى ولبه :

إن التوحيد لا يكمل حقا ، ولا تنكشف أسراره الخفية إلا بالتوحيد العلمى ، الذى ينحصر فى إثبات صفات الكمال والجلال والجمال ، ونفى الشبيه والضد والند ، وتنزيه الجناب المقدس عن النقائص والعيوب ، وهذا هو لب التوحيد ، الذى بعلمه تنكشف مقامات التوحيد ، وتشرق أنواره لعيون القلوب ، وتلوح غوامضه لعيون الأرواح ، وتحصل المواجهة للسر ، وهذه المقامات العلية التى تتفاوت فيها منازل كمل الصديقين ؛ قد تجلت مجملة فى كلمة واحدة ومفصلة فى أسماء الله الحسنى ، فالكلمة التى أجملت فيها تلك المقامات كلها هى (الحمد لله) لأن مدلولها الثناء على الله بالكمالات الذاتية ، والجلال والجمال الذاتيين .

(١) سورة غافر آية ٦٥ .

(٢) سورة الذاريات آية ٥٦ .

وبقدر شهود العبد لتلك المعانى يكون حمده لله تعالى ، فلا يقول العبد الكامل : الحمد لله ؛ إلا وقد واجهه الحق بالكمالات التى تملأ القلب رهبة وذلا وخشوعا ، وانكسارا ، والجلال الذى يذيبه خوفا من مقام ربه وخضوعا لأمره ، والجمال الذى يجذب روحه بالمحبة الخالصة والرضا عنه سبحانه .

فهى حرف ولكنها كنز محيط ، إذا تجلت أنواره تجمل قائلها المكاشف بمعانيه بمقامات القرب بعد الحب ، والمؤانسة بعد الخوف ، والفضل العظيم بعد الخشية ، وتروح بروح محبة الله له ، وريحان وده سبحانه وتعالى ، وهى الكلمة التى يقولها أهل الجنة بعد أن يحل عليهم سبحانه رضوانه الأكبر ، بدليل قوله تعالى : ﴿ **وآخِرُ دعواهم أن الحمدُ لله ربِّ العالمين** ﴾[1] ولو سأل سائل : كيف يتضمن الحمد كل تلك المعانى ؟ فأقول : إن الحمد يتضمن مدح المحمود ـ كما قدمت فى التعريف ـ بكماله وجماله وجلاله ، مع خالص المحبة والرضا عنه ، فلا يكون حامدا من جحد صفات المحمود تعالى ، ولا من أعرض عن محبته سبحانه ، ولا من خالف أمره عز وجل ، فإن جاحد صفات المحمود كافر ، والمعرض عن محبته جاهل به ، والمخالف لأمره متهاون بجلاله .

كل تلك المعانى التى شنع الله تعالى بها على من لم يحمدوه دليل على أنهم لم يوحدوه توحيدا حقا ، وإلا لو أنهم وحدوه حقا لحمدوه حمدا كثيرا طيبا مباركا كما حمده عباده المخلصون ، ولما كان سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ سيد رسل الله ـ وكان الحمد كما قررت هو أكمل ما

(١) سورة يونس آية ١٠ .

أثنى الله به على نفسه ، وأمر به عباده المؤمنين ـ كان ﷺ حاملا لواء الحمد يوم القيامة ، تحته كل رسل الله على نبينا وعليهم الصلاة والسلام وأمته ﷺ ، كما ورد فى الحديث الصحيح .

وقد ورد وصفنا ـ أهل الإسلام ـ فى التوراة بأننا الحامدون ، وحقا ، لأن الله تفضل علينا فجعلنا نحمده فى السراء والضراء ، فنحمده فى السراء لشهود جماله العلى ، ونحمده فى الضراء لتحققنا بشهود جلاله الربانى ، فله الحمد فى الشدة والرخاء ، والشكر فى الدنيا والآخرة .

وحمد الله سبحانه وتعالى حقا لايحصيه إلا الله تعالى ، لعلمه بكماله سبحانه ، وبجماله وجلاله تنزه وتعالى . ولما كان الإنسان ـ كائنا من كان ـ لا يحصى كمالات الله تعالى ، كان حمده بقدر مشهده ، ولذلك يقول ﷺ : (سبحانك لا أحصى ثناء عليك أنتَ كما أثنيتَ على نفسِك) وهو أعلم الخلق جميعا بالله سبحانه وتعالى .

قررت أن الحمد مجمل التوحيد ، وأنه حقيقة التوحيد العلمى وتفصيله علم الأسماء كلها ، ولا يكون التوحيد العلمى إلا بالأخبار والمعرفة ، وأما التوحيد الإرادى فإنه يكون بالقصد والإرادة ، وعندى : أنه النور الذى يجعله الله فى قلب المؤمن ينجذب به إلى طلب الله تعالى ، والبحث عن العارف الذى يتلقى عنه العلم بالله وبأحكامه وبأيامه ، مع التسليم بعد التبصرة .

ومن تدبر فى آيات القرآن التى ذم الله بها آلهة الكفار يظهر له جليا أن الذم محصور فى إثبات نقائص الأصنام وسلب صفات الكمال عنهم ، انظر إلى قول الخليل على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام

فيما أخبر الله عنه بقوله : ﴿ **يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئا** ﴾[1] وقال تعالى : ﴿ **واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا اتخذوه وكانوا ظالمين** ﴾[2] فذمهم الله بأنهم اتخذوا إلها ناقصا لم يتصف بصفات الكمال والجمال ولا الجلال ؛ مع أنهم متصفون بما لم يتصف به هو ، فالعاقل لا يتخذ إلها دونه فى الكمال ، بل لابد وأن يبحث عن الإله المعبود بحق ، المتصف بالكمال والجمال والجلال حقا .

ولولا أنى قررت العقيدة فيما سبق لى من الكتب مبينة بقدر السالك فى كل مقام بحسب منزلته من السلوك ، وقوته من العقل والإدراك ، وقررتها فى أول كتابى هذا مناسبة لمقام أهل اليقين ؛ لبينت ما يؤخذ من قول (الحمد لله) من حقيقة التوحيد وغوامض أسراره ، والله سبحانه وتعالى يمنحنى وإخوانى جميعا روح اليقين الحق ، وريحان الحب الخالص لله تعالى ولرسوله ﷺ ، حتى تتجلى لنا حقائق التوحيد مشرقة فى لطائف قلوبنا فنكون من الحامدين ، إنه مجيب الدعاء ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله .

الحامدون :

قبل أن نتكلم على مقاماتهم ؛ نقدم لك مقدمة تكون كسراج تستضىء به فى فهم ما سأورده عليك ، ولا تنزعج يا أخى من قولى : سأورده عليك ، ولم أقل : ما أورده الله علىّ ، لأنى أحقر من أن أدعى

---

(١) سورة مريم آية ٤٢ .

(٢) سورة الأعراف آية ١٤٨ .

هذا المقام ، ولكنه اجتهادى ، فإن كان حقا فهو وارد من الله تعالى ، وله الحمد والشكر ، وإن لم يكن حقا فهو من عجلتى ومن عجلة الشيطان بى ، أسأل الله أن يغفر لى عجلتى ، ويرزقنى وإياك الأدب مع جنابه العلى ، والخشية من جلاله تعالى .

معلوم أن الحمد أعم من الشكر ، لأن الحمد قول باللسان عن شهود للكمالات ، فهو شكر لأنه عمل بجارحه ، وثناء على جميل ، والشكر أخص منه من حيث أنه ثناء بعمل بالجوارح على نعم ، ولما كان الحمد هو خالص الشكر ، ولب لبابه ، لأن الشاكر على النعمة لايكون شاكرا حقا عند الله تعالى إلا إذا كان شكره للمنعم عن شهود معنى الوصف المتجلى ، لا للفرح بما آتاه الله بدليل قوله تعالى : ﴿ **حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون** ﴾(١) وبدليل قوله تعالى : ﴿ **اعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادى الشكور** ﴾(٢) ـ فالحمد يدل على الشكر التزاما أو تضمنا ، والشكر لا يدل على الحمد ، لأن مورد الحمد اللسان ، واللسان واحد والمحمود سبحانه واحد ، ومصدر الشكر الجوارح ، وهى كثيرة .

ولذلك صح للعبد المؤمن أن يشكر غير الله تعالى ، وحرم عليه أن يحمد غير الله تعالى ، قال سبحانه : ﴿ **اشكر لى ولوالديك** ﴾(٣) وقال تعالى : ﴿ **وله الحمد فى السموات والأرض وعشيا وحين تظهرون** ﴾(٤) وقال تعالى : ﴿ **الحمد لله الذى له ما فى السموات**

---

(١) سورة الأنعام آية ٤٤ .
(٢) سورة سبإ آية ١٣ .
(٣) سورة لقمان آية ١٤ .
(٤) سورة الروم آية ١٨ .

ومافى الأرض وله الحمد فى الآخرة ﴾[1] فجعل سبحانه الحمد خاصا لذاته دون غيره ، فحمد نفسه سبحانه بنفسه ، وأمر خلقه بحمده ، ثم سمى نفسه : الشكور ، وشكر عباده المخلصين بنص قوله صلى الله عليه وسلم : (شكر الله له) فى الحديث الطويل .

وفى قول أم المؤمنين رضى الله عنها عندما أمرها الصديق رضى الله عنه بقوله : احمدى رسول الله ، قالت : لا أحمد إلا الله . فأقرها رسول الله ﷺ على ذلك ، ورضيه منها ، دليل لمن كان له قلب ، أو ألقى ألسمع وهو شهيد .

فالشكر لا يكون شكرا إلا بعد الحمد الذى هو عن شهود ، أو علم أن الكمال والجمال والجلال خاص لله تعالى ، وأنه لا افتتاح لأوليته ولا نهاية له ، ولذلك يحسن الشكر بعد التحقق بالتوحيد العلمى ، فيكون الشاكر عابدا لله تعالى كما قدمت فى شرح قوله تعالى : ﴿ العابدون ﴾ فالحمد خالص التوحيد ، والشكر العمل بمشهد التوحيد ، ولذلك فإن الله سبحانه وتعالى أثنى على كمل عباده بقوله : ﴿ الحامدون ﴾ .

إذا تقرر ذلك ، فالحامد حقا من تجلت له معانى كمالات المحمود سبحانه ، وظهرت له أسرار جماله وجلاله ، حتى بلغ به العلم مبلغا وقع به على عين اليقين ، فتحقق أن الحمد حقا لا يكون إلا لله تعالى فقال : (الحمد لله) عن شهود ووجود ، وبعد تحققه بحقيقة التوحيد القصدى الذى به تتجلى له معانى صفات الرب جل جلاله مفصلة مشرقة أنوارها فى الآيات ، ظاهرة مقتضياتها فى الكائنات ، ولديها

---

(١) سورة سبإ آية ١ .

يكون حامدا شاكرا ، متجملا بخالص محبة الله ، متحليا بكمال الرضا عن الله ، عاملا مخلصا من كمل عمال الله ، صورة كاملة محمدية ظاهرا وباطنا ، مخصوصا بأن يكون تحت لواء الحمد مع رسول الله ﷺ ، ومع من تحته من أولى العزم عليه وعليهم الصلاة والسلام ، والرسل الكرام والأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، فيكون ممن بشرهم الله تعالى بقوله : ﴿ **فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين** ﴾[1] كل ذلك لم يكن إلا بما تفضل الله تعالى به عليه من قوله : ﴿ الحمد لله ﴾ قولا باللسان بلفظ مجمل ، وشهودا بالجنان لمعان تفصيلية ، فيكون بقوله (الحمد لله) كأنه شهد معانى صفات الله الحسنى شهودا يجعله يتحقق بمقام التوحيد ، ويتحلى بحلى التنزيه والتفريد .

فهى كلمة خفيفة على اللسان ، ولكنها ثقيلة فى الميزان لما تضمنته من إثبات صفات الكمال والجمال والجلال ، ونفى أضدادها ، والحامد اتصل نسبه بربه ، لأنه تخلق بخلق من أخلاق الله تعالى ، وذلك الخلق هو اتصافه بأنه حامد ، فإن الله تعالى متصف بالحمد لحمده لنفسه ، والحامد لله متصف بما اتصف به الله تعالى .

وتقدم لى أن الله يحب صفاته ويحب من اتصف بها ، فيكون الحامد متصفا بأخلاق الله محبوبا لله ، قال ﷺ : (كلمتان حبيبتان إلى الرحمٰن ، خفيفتان على اللسان ، ثقيلتان فى الميزان ؛ سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم) فإذا كانت هاتان الكلمتان حبيبتين إلى الرحمن فإن قائلهما حبيب إلى الرحمن لأنه وفقه لما يحب من القول ،

---

(١) سورة النساء آية ٦٩ .

ولا يوفق سبحانه لما يحب من القول إلا من يحبه سبحانه . فالحامدون لم يوصفوا بهذا المقام العلى إلا بعد أن تحققوا بكمال التوحيد علما وإرادة ، وبكمال العبادة شكرا وإنابة .

وأنت أيها الأخ ـ ودنى الله وإياك بروح منه وجعلنى وإياك من الحامدين ـ إذا تحققت بتلك المعانى كلها يمكنك أن تعلم مقدار ما تفضل الله به عليك من عظيم النعمة ، وعميم المنة ، فترى نفسك عاجزا عن شكره بقولك : الحمد لله ، لأن قولك : الحمد لله ؛ أعظم نعمائه وأفضل آلائه ، إذا قلتها عن علم يقين ـ كما قررت ـ أو عين يقين ـ كما صرحت ـ أو حق يقين ـ كما أشرت ـ فإنها بشرى من الله لك بأنك محبوب حضرته ومراد جنابه العلى ، ومخصوص منه بحقيقة الولاية والعناية والإقبال ، وإذا تحققت بذلك فافرح يا أخى بفضله ورحمته ، فرحا عن رهبة من عظمته وخشية من جلاله ، ورغبة فى المزيد من فضله ، حتى يكون فرحك ممزوجا بالرهبة والخشية ، تدعو إليه الرغبة فيكون القلب منكسرا خشية ورهبة ، والفؤاد منبسطا رغبة وفرحا ، والبدن مسارعا إلى الشكر ، معتقدا العجز عن القيام بشكر بعض النعمة ، ولديها تكون عند الله من الحامدين ؛ وعند رسول الله ﷺ وعند العلماء الربانيين .

وإذا كان العبد لا يحمد ربه ولا يشكره إلا على نعمة مطعم ومشرب ومنكح ؛ فقد جهل كمالات ربه وجلاله وجماله ، وعميت عين بصيرته عن سوابغ النعم المفاضة عليه ، مما لا يحصيه الخلق أجمعون ، فإن نعم الله محيطة بك ـ أيها العبد ـ من العرش إلى الفرش . وظاهرة فى ذاتك ظهورا جليا ، لو نظرت فى نفسك وفى الآفاق لعلمت ـ بقدرك ـ أنك مغمور بنعم لا تحصى ، وأنك عاجز

عن الثناء على الله على نفس تتنفسه ، أو ضوء تبصره ، أو كلمة تسمعها ، فكيف بما هو فوق ذلك من النعم الظاهرة والباطنة ؟! فأدم شكر الله تعالى وحمده تمنح المزيد من فضله ، والله يوفقنا وإياك لدوام حمده وشكره ، إنه مجيب الدعاء .

ولما كان الحامدون لهم إشراف بالعلم أو بالعين على أنوار الكمال والجمال والجلال ، ومقتضيات ذلك كانوا كثيرى الحمد لله تعالى فى كل حال وشأن ، لشهودهم نعم الله الظاهرة فيما يلائمهم ، ونعمه الخفية فيما لا يلائمهم ، فهم يشهدون النعمة فى حالة النقمة فيحمدون الله تعالى على ما يشهدونه من النعم المتجلية لبصائرهم بعلم أو عين اليقين ، وإن خفيت عن أبصار الغافلين الذين ران الحظ والهوى على قلوبهم ، كما ورد عن رسول الله ﷺ فى الحديث الطويل أرويه بالمعنى لا باللفظ : أن المؤمن يقول فى السراء : الحمد لله على ما أنعم ، وفى الضراء : الحمد لله على كل حال . فالمؤمن الكامل يشهد نعم الله تعالى فيما يصيبه من البلايا ، وقد ورد أن سيدنا عُمران بن حصين رضى الله عنه جلس أخوه بجانبه وهو على سريره فى مرضه وبكى ، فقال : ما يبكيك ؟ قال : أبكى لمرضك ، فقال : ادنه فدنا منه حتى وضع أذنه على فمه فقال : إن الله يرسل السلام لى على لسان ملك من الملائكة كل يوم ، ثم حمد الله حمد من تمتع بالعافية وزيادة ، وطلبوا منه أن يكوى فقهروه حتى اكتوى ، فقال لأخيه : إن جبريل كان يجالسنى فلما اكتويت انصرف عنى ، وأبى أن يكتوى بعد ، فجالسه الملك بعد .

تراجم بعض الحامدين:

وهنا يحسن بى أن أذكر لك تراجم بعض الحامدين ، لتعلم حقيقة

الحمد عن علم أو عين اليقين ، وتعتقد أن قول من ملأ بطنه من الخبز والماء البارد والأدم : الحمد لله ؛ فإذا جاع سخط ، أو ابتلى مقت ، ليس بحمد ، وإنما هو حمد البهائم ؛ كبصبصة الكلب عند إعطائك له اللقمة ، وكجمع الدجاج عند نثر الحبوب ، فإذا شبعت وطلبت واحدة منها فرت على الجدران ، أسأل الله تعالى أن يتفضل علينا بفضله الذى نكون به من الحامدين له سبحانه ، الحمد الذى يرضيه عنا جل جلاله ، إنه مجيب الدعاء .

سعد بن معاذ بن النعمان :

أسلم رضى الله عنه بالمدينة بين العقبة الأولى والثانية على يدى مصعب بن عمير ، وعند إسلامه قال لبنى عبد الأشهل : (كلام رجالكم ونسائكم علىَّ حرام حتى تسلموا) فأسلموا ، فكان من أعظم الناس بركة فى الإسلام ، وشهد بدرا وأحدا والخندق ، ورمى يوم الخندق بسهم فعاش شهرا ثم انتفض جرحه ، وكان رسول الله ﷺ قد أمر بضرب فسطاط فى المسجد لسعد بن معاذ فكان يعوده فى كل يوم حتى توفى سنة خمس من الهجرة ، عن جابر قال : رمى يوم الأحزاب سعد بن معاذ فقطعوا أكحله فحسمه رسول الله ﷺ فانتفخت يده ، ونزفه الدم فلما رأى ذلك قال : اللهم لا تخرج نفسى حتى تقر عينى فى بنى قريظة ، فاستمسك عرقه فما قطرت قطرة حتى نزل بنو قريظة على حكمه ، وكان حكمه فيهم أن يقتل رجالهم ويسبى نساءهم ، وذريتهم يستعين بها المسلمون ، فقال رسول الله ﷺ : (أمضيت حكمَ الله فيهم) ، وكانوا أربعمائة ، فلما فرغ من قتلهم انفتق عرقه ، فتوفى رضى الله عنه .

وروى من حديث سعد بن أبى وقاص عن النبى ﷺ أنه قال : (لقد نزل الملائكة فى جنازة سعد بن معاذ سبعون ألفا ما وطئوا الأرض) ، وروى من حديث أنس بن مالك قال : لما حملنا جنازة سعد بن معاذ قال المنافقون : ما أخف جنازته ، وكان رجلا طوالا ضخما ، فقال رسول الله ﷺ : (إن الملائكة حملته) وعن عائشة رضى الله عنها قالت : فى بنى عبد الأشهل ثلاثة ، لم يكن بعد النبى ﷺ من المسلمين أحد أفضل من سعد بن معاذ ، وأسيد بن حضير ، وعباد بن بشر . وقال رسول الله ﷺ : (اهتز العرش لموت سعد ابن معاذ) . وقال رسول الله ﷺ فى حلة رآها سيراء : (لمنديل من مناديل سعد بن معاذ فى الجنة خير منها) وقال له ــ لما حكم فى بنى قريظة بقتل المقاتلة وسبى النساء والذرية ــ : (لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع سمٰوات) عن عبد الله بن أبى بكر قال : مات سعد بن معاذ من جرح أصابه يوم الخندق شهيدا ، قال : فبلغنى أن جبريل عليه السلام نزل فى جنازته متعجرا بعمامة من استبرق وقال : يانبى الله من هذا الذى فتحت له أبواب السماء واهتز له العرش ؟ فخرج رسول الله ﷺ يجر ثوبه فوجد سعدا قد قبض . وقال رجل من الأنصار : وما اهتز عرش الله من موت هالك علمنا به إلا لسعد أبى عمرو .

عن ابن عباس قال : قال سعد بن معاذ : ثلاث أنا فيهن رجل ــ يعنى كما ينبغى ــ وما سوى ذلك فأنا رجل من الناس : ما سمعت من رسول الله ﷺ حديثا قط إلا علمت أنه حق من الله ، ، ولا كنت فى صلاة قط فشغلت نفسى بغيرها حتى أقتضيها ، ولا كنت فى جنازة قط فحدثت نفسى بغير ما تقول ويقال لها حتى أنصرف عنها . قال ابن المسيب : هذه الخصال ما كنت أحسبها إلا فى نبى .

سلمان الفارسى :

مولى رسول الله ﷺ ويعرف بسلمان الخير ، أصله من فارس من رام هرمز ، وكان إذا قيل له : ابن من أنت ؟ قال : أنا سلمان بن الإسلام من بنى آدم ، وكان سلمان يطلب دين الله تعالى ، ويتبع من يرجو ذلك عنده ، فدان بالنصرانية وغيرها ، وقرأ الكتب ، وصبر فى ذلك على مشقات نالته ، وذلك كله مذكور فى خبر إسلامه ، وذكر سليمان التيمى عن أبى عثمان النهدى عن سلمان الفارسى أنه تداوله فى ذلك بضعة عشر ربا من رب إلى رب ، حتى أفضى إلى النبى ﷺ ومن الله عليه بالإسلام .

عن عبد الله بن بعريزة عن أبيه أن سلمان الفارسى أتى إلى رسول الله ﷺ بصدقة فقال : هذه صدقة عليك وعلى أصحابك ، فقال : (يا سلمان إنا أهل البيت لا تحل لنا الصدقة ، فرفعها . ثم جاءه من الغد بمثلها فقال : هذه هدية ، فقال ﷺ لأصحابه : كلوا) فاشتراه رسول الله ﷺ من قوم من اليهود بكذا وكذا درهما ، وعلى أن يغرس لهم كذا وكذا من النخيل ؛ يعمل فيها سلمان حتى تدرك ، فغرس رسول الله ﷺ النخل كله إلا نخلة واحدة غرسها عمر رضى الله عنه ، فأطعم النخل كله إلا تلك النخلة ، فقال رسول الله ﷺ : (من غرسها ؟ فقالوا : عمر ، فقلعها رسول الله ﷺ وغرسها بيده فأطعمت من عامها) وذكر معمر عن رجل من أصحابه قال : دخل قوم على سلمان ــ وهو أمير على المدائن وهو يعمل الخوص ــ فقيل له : تعمل هذا وأنت أمير يجرى عليك رزق ؟ فقال : إنى أحب أن آكل من عمل يدى ، وذكر أنه تعلم عمل الخوص بالمدينة من الأنصار عند بعض مواليه .

أول مشاهده الخندق ، وهو الذى أشار بحفره ، فقال أبو سفيان وأصحابه إذا رأوه : هذه مكيدة ما كانت العرب تكيدها . وقد قيل : إنه شهد بدرا وأحدا إلا أنه كان عبدا يومئذ ، والأكثر أن أول مشاهده الخندق ، ولم يفته بعد ذلك مشهد مع رسول الله ﷺ ، وكان خيرا فاضلا حبرا عالما زاهدا متقشفا .

ذكر هشام بن حسان عن الحسن قال : كان عطاء سلمان خمسة آلاف ، وكان إذا خرج عطاؤه تصدق به ويأكل من عمل يده ، وكانت له عباءة يفترش بعضها ويلبس بعضها . وعن مالك قال : كان سلمان يعمل الخوص بيده فيعيش منه ، ولا يقبل من أحد شيئا ، قال : ولم يكن له بيت ، وإنما كان يستظل بالجدر والشجر ، وأن رجلا قال له : ألا أبنى لك بيتا فيه تسكن ؟ فقال : مالى به حاجة ، فما زال به الرجل حتى قال له : إنى أعرف البيت الذى يوافقك ، قال : فصفه لى ، قال : أبنى لك بيتا إذا أنت قمت فيه أصاب رأسك سقفه ، وإن أنت مددت فيه رجليك أصابهم الجدار ، قال : نعم ، فبنى له بيتا كذلك .

وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (لو كان الدين عند الثريا لناله سلمان) وفى رواية أخرى : (لناله رجال من فارس) وعن عائشة رضى الله عنها قالت : (كان لسلمان مجلس من رسول الله ﷺ ينفرد به بالليل حتى كاد يغلبنا على رسول الله ﷺ) . وروى من حديث ابن بريدة عن أبيه عن النبى ﷺ أنه قال : (أمرنى ربى بحب أربعة ، وأخبرنى أنه يحبهم ، على ، وأبو ذر ، والمقداد ، وسلمان رضى الله تعالى عنهم) ، عن أبى هريرة قال : كان سلمان صاحب الكتابين ، قال قتادة : يعنى الإنجيل والفرقان ،

وسئل سيدنا علىّ عليه السلام عن سلمان فقال : علم العلم الأول والآخر بحر لا يَنْزِف ، وهو منا آل البيت ، وعن سيدنا على كرم الله وجهه أنه قال : سلمان الفارسى مثل لقمان الحكيم ، وقال كعب الأحبار : سلمان حشى علما وحكمة .

وعن عائذ بن عمرو أن أبا سفيان أتى على سلمان وصهيب وبلال فى نفر فقالوا : ما أخذت سيوف الله من عنق عدو الله مأخذها ، فقال أبو بكر : أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدهم ؟ وأتى النبى ﷺ فأخبره ، فقال : (يا أبا بكر ، لعلك أغضبتهم ، لئن كنتَ أغضبتهم لقد أغضبتَ ربك جل وعلا) فأتاهم أبو بكر فقال : ياإخوتاه أغضبتكم ؟ قالوا : لا يا أبا بكر ، يغفر الله لك .

وكان رسول الله ﷺ قد آخى بينه وبين أبى الدرداء ، فرأى أم الدرداء مبتذلة ، فقال : ما شأنك ؟ قالت : إن أخاك ليس له حاجة فى شيء من الدنيا ، قال : فلما جاء أبو الدرداء رحب بسلمان وقرب له طعاما ، فقال سلمان : أطعم ، قال : إنى صائم ، قال : أقسمت عليك إلا ما طعمت ، إنى لست بآكل حتى تطعم ، قال : وبات سلمان عند أبى الدرداء ، فلما كان الليل قام أبو الدرداء فحبسه سلمان وقال : يا أبا الدرداء إن لربك عليك حقا ، وإن لأهلك عليك حقا ، وإن لجسدك عليك حقا ، فأعط لكل ذى حق حقه ، قال : فلما كان وجه الصبح قال : قم الآن ، قال : فقاما فصليا ثم خرجا إلى الصلاة ، قال : فلما صلى رسول الله ﷺ قام إليه أبو الدرداء وأخبره بما قال سلمان ، فقال رسول الله ﷺ مثل ما قال سلمان .

أنس بن مالك :

أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن جندب ابن عامر بن غنم بن عدى بن النجار ، أبو حمزة الأنصارى الخزرجى ، خادم رسول الله ﷺ ، وأحد المكثرين من الرواية عنه ، صح عنه أنه قال : قدم النبى ﷺ المدينة وأنا ابن عشر سنين . وأن أمه أم سليم أتت به النبى ﷺ لما قدم فقالت له : هذا أنس غلام يخدمك فقبله ، وأن النبى ﷺ كناه : أبا حمزة ببقلة كان يجتنيها ومازحه النبى ﷺ فقال له : (ياذا الأذنين) ، وقال محمد بن عبد الله الأنصارى : خرج أنس مع رسول الله ﷺ إلى بدر وهو غلام يخدمه .

عن أبى خلدة قال : قلت لأبى العالية : أسمع أنس من النبى ﷺ ؟ قال : خدمه عشر سنين ، ودعا له النبى ﷺ ، وكان له بستان يحمل الفاكهة فى السنة مرتين ، وكان فيه ريحان ، ويجىء منه ريح المسك ، وكانت إقامته بعد النبى ﷺ بالمدينة ، ثم شهد الفتوح ، ثم قطن البصرة ومات بها .

عن إسحاق بن عثمان قال : سألت موسى بن أنس : كم غزا أنس مع النبى ﷺ ؟ قال : ثمانى غزوات . قال ثابت البُنَانى : قال لى أنس بن مالك : (هذه شعرة من شعر رسول الله ﷺ فضعها تحت لسانى ، قال : فوضعتها تحت لسانه ، فدفن وهى تحت لسانه) ومات سنة تسعين وكان عمره مائة سنة إلا سنة ، وقيل غير ذلك .

عن أنس قال : قالت أم سليم : يارسول الله ادع الله لأنس ، فقال : (اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيه) فقال أنس : إنى لمن أكثر الأنصار مالا وولدا ، ويقال : إنه ولد لأنس بن مالك ثمانون

ولدا منهم ثمانية وسبعون ذكرا ، وابنتان ، إحداهما تسمى حفصة ، والثانية تكنى أم عمرو . وعنه رضى الله عنه : (جاءت بى أم سليم إلى النبى ﷺ وأنا غلام فقالت : يارسول الله ، أنس ، ادع الله له ، فقال النبى ﷺ : (اللهم أكثر ماله وولده وأدخله الجنة) قال : قد رأيت اثنين وأنا أرجو الثالثة . وقال جعفر بن سلمان عن ثابت : كنت مع أنس فجاء قهرمانه فقال : أبا حمزة عطشت أرضنا ، قال : فقام أنس فتوضأ وخرج إلى البرية فصلى ركعتين ثم دعا ، فرأيت السحاب تلتئم ، قال : ثم أمطرت حتى ملأت كل شىء ، فلما سكن المطر بعث أنس بعض أهله فقال : انظر أين بلغت السماء ، فنظر فلم تعد أرضه إلا يسيرا وذلك فى الصيف ، وقال أبو هريرة : (ما رأيت أحدا أشبه صلاة برسول الله ﷺ من ابن أم سليم) ـ يعنى أنسا ـ عن موسى بن أنس أن أبا بكر لما استخلف بعث إلى أنس ليوجهه إلى البحرين على السعاية ، فدخل عليه عمر فاستشاره فقال : ابعثه ، فإنه لبيب كاتب ، قال : فبعثه .

أبو ذر الغفارى :

واختلف فى اسمه ، فقيل : جندب بن جنادة ، وهو أكثر وأصح ما قيل فيه ، وقيل : بزير بن عبد الله ، وبزير جنادة ، وبزير بن عشرقة ، وقيل غير ذلك ، وينتهى نسبه إلى مضر بن نزار الغفارى ، كان من كبار الصحابة قديم الإسلام ، يقال : أسلم بعد أربعة ـ فكان خامسا ـ ثم انصرف إلى بلاد قومه فأقام بها حتى قدم على النبى ﷺ المدينة ، وله فى إسلامه خبر حسن .

عن أبى حمزة عن ابن عباس قال : لما بلغ أبا ذر مبعث رسول الله ﷺ بمكة قال لأخيه أنيس : اركب إلى هذا الوادى واعلم لى علم هذا الرجل الذى يزعم أنه يأتيه الخبر من السماء ، واسمع من قوله ثم ائتنى . فانطلق الأخ حتى قدم مكة ، وسمع من قوله ﷺ ، ثم رجع إلى أبى ذر فقال : رأيته يأمر بمكارم الأخلاق ، وسمعت منه كلاما ما هو بالشعر ، فقال : شفيتنى فيما أردت . فتزود وحمل شنة له حتى قدم مكة .

فأتى المسجد ، فالتمس النبى صلى الله عليه وآله وسلم ولا يعرفه ، وكره أن يسأل عنه حتى أدركه الليل فاضطجع ، فرآه سيدنا على بن أبى طالب رضى الله عنه فقال : كأن الرجل غريب ؟ قال : نعم : قال : انطلق إلى المنزل ، فانطلقت لا يسألنى عن شىء ولا أسأله ، قال : فلما أصبحت من الغد رجعت إلى المسجد فبقيت يومى حتى أمسيت ، وصرت إلى مضجعى ، فمر بى علىّ فقال : أما آن للرجل أن يعرف منزله ؟ فأقامه وذهب به معه وما يسأل واحد منهما صاحبه عن شىء ، حتى إذا كان اليوم الثالث فعل مثل ذلك ، فأقامه علىّ عليه السلام معه ، ثم قال له : ألا تحدثنى ما الذى أقدمك هذا البلد ؟ قال : إن أعطيتنى عهدا وميثاقا لترشدنى فعلت ، ففعل ، فأخبره سيدنا علىّ رضى الله عنه أنه نبى ، وأن ما جاء به حق ، وأنه رسول الله ﷺ ، فإذا أصبحتَ فاتبعنى ، فإنى إن رأيت شيئا أخاف عليك قمت كأنى أريق الماء ، فإن مضيتُ فاتبعنى حتى تدخل معى مدخلى .

فقال : فانطلقت أقفوه حتى دخل على رسول الله ﷺ ،

ودخلت معه ، وحييت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بتحية الإسلام فقلت السلام عليك يا رسول الله ، فكنت أول من حياه بتحية الإسلام ، فقال : وعليك السلام ، من أنت ؟ فقلت : رجل من بنى غفار ، فعرض علىّ الإسلام فأسلمتُ وشهدتُ أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، فقال لى رسول الله ﷺ : (ارجع إلى قومك فأخبرهم واكتم أمرك عن أهل مكة ، فإنى أخشاهم عليك) فقلت : والذى نفسى بيده لأصوتن بها بين ظهرانيهم . فخرج حتى أتى المسجد فنادى بأعلى صوته : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمد رسول الله ، فثار القوم إليه فضربوه حتى أضجعوه وأتى العباس رضى الله عنه فأكب عليه وقال : ويلكم ، ألستم تعلمون أنه من بنى غفار وأن طريق تجارتكم إلى الشام عليهم ؟! وأنقذه منهم ، ثم عاد من الغد إلى مثلها ، وثاروا إليه فضربوه ، فأكب عليه العباس فأنقذه ، ثم لحق بقومه ، فكان هذا أول إسلام أبى ذر .

عن يزيد بن أبى حبيب قال : قدم أبو ذر على النبى ﷺ وهو بمكة فأسلم ، ثم رجع إلى بلاد قومه فأقام بها حتى مضت بدر وأحد والخندق ، ثم قدم على رسول الله ﷺ المدينة ، فلما رآه النبى ﷺ وهم فى اسمه فقال ﷺ : (أنت أبو نملة ؟ فقال : أنا أبو ذر ، قال : نعم ، أبو ذر) فصحب رسول الله ﷺ إلى أن انتقل ﷺ إلى الرفيق الأعلى .

ثم خرج بعد وفاة أبى بكر إلى الشام ، فلم يزل بها حتى ولِىَ سيدنا عثمان رضى الله عنه ، ثم استقدمه سيدنا عثمان لشكوى معاوية ، فنفاه وأسكنه الربذة فمات بها ، وصلى عليه سيدنا عبد الله

ابن مسعود صادفه وهو مقبل من الكوفة مع نفر فضلاء من أصحابه منهم حجر بن الأدبر ، ومالك بن الحرث الأشتر ، وفتى من الأنصار دعتهم امرأته إليه فشهدوا موته ، وغمضوا عينيه ، وغسلوه ، وكفنوه فى ثياب للأنصارى ، فى خبر عجيب حسن فيه طول ، وفى خبر غيره أن ابن مسعود لما دعى إليه وذكر له بكى بكاء طويلا ، وقيل : إن ابن مسعود كان مقبلا من المدينة إلى الكوفة فدعى إلى الصلاة عليه ، فقال ابن مسعود : من هذا ؟ قيل : أبو ذر ، فبكى طويلا فقال : أخى وخليلى عاش وحده ، ومات وحده ، ويبعث وحده ، طوبى له . وكانت وفاته بالربذة سنة اثنتين وثلاثين ، وصلى عليه ابن مسعود .

عن مجاهد عن إبراهيم الأشتر عن أبيه عن أم ذر ــ زوجة أبى ذر ــ قالت : لما حضرت أبا ذر الوفاة بكيتُ فقال لى : ما يبكيك ؟ فقلت : ومالى لا أبكى وأنت تموت بفلاة من الأرض ، وليس عندى ثوب يسعك كفنا لى ولا لك ، ولا يد لى للقيام بجهازك ، قال : فأبشرى ولا تبكى ، فإنى سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : (لا يموت بين امرأين مسلمين ولدان أو ثلاث فيصبران ويحتسبان فيريان النار أبدا) وقد مات لنا ثلاثة من الولد ، وإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول لنفر أنا فيهم : (ليموتن رجل منكم بفلاة من الأرض يشهده عصابة من المؤمنين) وليس من أولئك النفر أحد إلا وقد مات فى قرية وجماعة ، فأنا ذلك الرجل ، والله ما كَذبت ولا كُذبت ، فأبصرى الطريق ، قالت : أنى ؟ وقد ذهب الحاج ، وتقطعت

الطريق ، قال : اذهبى فتبصرى ، قالت : فكنت أشتد إلى الكثيب فأنظر ثم أرجع إليه فأمرضه .

فبينما هو وأنا كذلك إذا أنا برجال على رحالهم كأنهم الرخم تحث بهم رواحلهم ، فأسرعوا إلىّ حتى وقفوا علىّ فقالوا : ياأمة الله ، مالك ؟ قلت امرؤ من المسلمين يموت ، تكفنونه ؟ قالوا : ومن هو ؟ قلت : أبو ذر ، قالوا : صاحب رسول الله ﷺ ؟ قلت : نعم ؟ قالت : ففدوه بآبائهم وأمهاتهم : وأسرعوا إليه حتى دخلوا عليه ، فقال لهم : أبشروا ، فإنى سمعتُ رسول الله ﷺ يقول لنفر أنا فيهم : (ليموتن رجل منكم بفلاة من الأرض يشهده عصابة من المؤمنين) وليس من أولاء النفر أحد إلا وقد هلك فى قرية وجماعة ، والله ماكَذبت ولا كُذبت ، ولو كان عندى ثوب يسعنى كفنا لى ؛ أو لامرأتى ؛ لم أكفن إلا فى ثوب هو لى أو لها ، وإنى أنشدتكم الله أن لا يكفننى رجل منكم كان أميرا ، أو عريفا ، أو بريدا ، أو نقيبا .

وليس من أولئك النفر أحد إلا وقد قارف بعض ما قاله ، إلا فتى من الأنصار فقال : أنا أكفنك ياعم فى ردائى هذا ، وفى ثوبين فى عيبتى من غزل أمى ، قال : أنت تكفننى ، قال : فكفنه الأنصارى وغسله فى النفر الذين حضروه ، وقاموا عليه ودفنوه فى نفر كلهم يمان .

روى عنه جماعة من الصحابة وكانوا من أوعية العلم المبرزين فى الزهد ، والورع والقول بالحق ، وسئل سيدنا علىّ عليه السلام عن أبى ذر فقال : ذاك رجل وعى علما عجز عنه الناس ثم أوكأ عليه ولم يخرج شيئا منه . وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : (فى

أمتى أبو ذر شبيه عيسى بن مريم فى زهده) وبعضهم يرويه : (من سره أن ينظر إلى تواضع عيسى بن مريم ؛ فلينظر إلى أبى ذر) .

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ماأظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء من ذى لهجة أصدق من أبى ذر) وروى إبراهيم التيمى عن أبيه عن أبى ذر قال : (كان قوتى على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم صاعا من تمر ، فلست بزائد عليه حتى ألقى الله) .

ليس على الشمس حجاب ، ولا تحتاج فى نهار الصحو إلى مبين لكمالها لأنها بينت كمال غيرها بنورها ، ولكن المؤمن يجب عليه أن يشكر الله عليها بما أجراه له من الفضل العظيم بسببها .

فأنا أشكر الله ذاكرا نعماه العميمة التى أجراها علينا على يد هذا الإمام العظيم رضى الله عنه ، الذى جذبه الله سبحانه وتعالى إليه بمجرد سماع خبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فمنحه الله عنايته ، حتى كان الباب الذى دخل به على رسول الله نورا جعله الله فى قلبه ، والإمام باب مدينة العلم عليه السلام ، فلما أن أشرقت أنوار التوحيد على قلبه أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم ــ رحمة به ــ أن يكتم أمره عن أهل مكة ، وأن يخرج إلى بلده ، فتصور رضى الله عنه أن إعلانها لا يؤدى إلا إلى إزهاق نفسه ، فرأى إعلانها مع ذهاب نفسه أحب إليه من كتمها وحفظ حياته .

وهكذا يكون الحق إذا انبلجت أنواره ، ولاحت للرائى حقيقته ، وكوشفت لطائف القلب بأسراره ، فإنه يقهر الجوارح كلها حتى لا يستطيع من تمكن من هذه المعانى أن يخفى حاله ، خصوصا من انجذب بتلك الجواذب إلى الحق ، وجلس هذا المجلس مع رسول الله

صلى الله عليه وسلم ، فإنه يصير على قدم الرسل عليهم الصلاة والسلام ، وأنت تعلم مقدار ما تحمله الرسل من الأذية فى هذا السبيل ، فكذلك من أقامهم الله مقامهم ، ودليل ذلك ما ورد عن رسول الله ﷺ : أنه شبه أبا ذر بعيسى بن مريم على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام .

فسيدنا أبو ذر رضى الله عنه هو إمام أهل المجاهدة لما له من الهمة العلية ، ونور أهل المشاهدة بأحواله الأحمدية ، قهره وارد الحق حتى أفناه عن لوازمه الضرورية ، ودفعه الحق إلى أن يكون معه حيث كان ، ولو كان فى ذلك ما كان مما لا تتحمله القوى البشرية ، ولعلك تعلم ما أثنى به رسول الله ﷺ على بنى غفار ، وما قاموا به رضى الله عنهم ، وكل ذلك لم يكن إلا بالروح التى بثها أبو ذر رضى الله عنه فى قومه ، فإنه زهد الدنيا رضى الله عنه بعد التمكين فيها ؛ زهدا من حق يقين ، وقام وحدانيا متمسكا بالحق ، لا تأخذه فى الله لومة لائم ، لا يخاف أميرا ولا خليفة ، رضى الله عنه ، فكانت جواذب الحق تجذبه جذبات تفنيه عن بشريته ، فينافس فى أعمال الملائكة الروحانيين فيصوم نهاره ، ويقوم ليله ، وهل بعد أن قال رسول الله ﷺ ـ مثنيا عليه ـ : (فى أمتى أبو ذر شبيه عيسى بن مريم فى زهده) ينزل من هذا الأفق الأعلى إلى مستوى آخر ؟ الجواب : لا .

عنه أخذ السادة الصوفية مناهج سبلهم ، وبه اقتدوا فى مجاهدته وعزلته وانفراده وتخوشنه ، وغوامض أسرار التوحيد التى تلقاها عن رسول الله ﷺ ، وأوكأ عليها جرابه ، كما أخبر سيدنا على بن أبى طالب رضى الله عنه ، فهو الإمام الذى بين معانى المحبة فى الله ،

وجمال الأخلاق المحمدية ، وسر الرغبة فى الله والزهد فيمن سواه وما سواه .

وقد أكرم الله به أهل السير والسلوك ، وكفاه شرفا أنه كان خامس أربعة مع رسول الله ﷺ ، وهو الذى بين لنا حقيقة الأنس بالله فى الشدة والرخاء والتلذذ بما يحصل عند قول الحق ، أو العمل به ، منفردا بمذهبه ولو خالفه العالم أجمع ، لليقين الحق الذى اطمأن به القلب ، وبه أخذ القوم الغيرة على الحق ، والصولة فى الحق . فإنه – من أول نفس دخل الإسلام – منحه الله تلك الصولة الربانية ، والغيرة المحمدية ، فكانت فاتحته فى الإسلام ، ودام عليها حتى لقى الله سبحانه ، وإن هذا لهو الحق ، ولكن القائمين به قليلون ، والعاملون به أقل ، ولا يقوم الدين – حق القيام – إلا برجال علموا حق العلم ما عند الله من الفضل العظيم ، وتحققوا بأن اتباع الحق هو النجاة للجميع فرخصت دماؤهم فى أعينهم ، واضمحلت حياتهم الدنيا فى قلوبهم فبذلوها مسرورين قياما بشكر المنعم سبحانه وتعالى . هذا حال الإمام الذى أثنى عليه رسول الله ﷺ ثناء لم يثنه على غيره حتى قال فى الحديث المتقدم : (ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء من ذى لهجة أصدق من أبى ذر) وذلك لأنه رضى الله عنه كان أحفظ الناس لكلام رسول الله ﷺ ، وأفقه الناس فى كتاب الله .

لا أطيل عليك ، ولكنى أنبهك إلى أن الأحوال القاهرة ، والمشاهدات الجاذبة ترفع مقامات صاحبها ، فيجب عليك أن تتشبه بأهل تلك الهمم ، وأن لا تزن الرجال بقدر همتك وعقلك فتقول : هذا مجنون ، وهذا غير متوسط ، وهذا ليس بحكيم . فربما رميت

بالجنون رجلا منحه الله عقلا يعقل عنه ، ونورا يشهد به ملكوته الأعلى .

فإذا خلت الأرض من أمثال هؤلاء حبس مطر السماء ، لا أقول : المطر الذى ينبت النبات فقط ؛ بل المطر الذى ينزل على القلوب فينبت فيها شجر الحكمة ، والحب والرغبة والخشية من الله ، وإذا حبست أمطار السماء هلك العالم ظاهرا وباطنا ، اللهم لا تخل الأرض من قائم لك بحجة عامل بكتابك ، دال عليك سبحانك بالحكمة والموعظة الحسنة إنك مجيب الدعاء آمين .

وأكمل أهل الفرقة الناجية من كان على طريقة هذا الإمام الجليل لأنه الأستاذ حقا والإمام صدقا لهم .

أبو هريرة الدوسى :

دوس هو ابن عدنان بن عبد الله ينتهى نسبه إلى الأزد بن الغوث .

قال أبو عمر : اختلفوا فى اسم أبى هريرة واسم أبيه اختلافا كثيرا لا يحاط به ولا يضبط فى الجاهلية والإسلام ، وقال : محال أن يكون اسمه فى الإسلام عبد شمس ، أو عبد عمرو ، أو عبد غنم ، أو عبد نهم ، وهذا إن كان شىء منه فإنما كان فى الجاهلية ، وأما فى الإسلام فاسمه عبد الله أو عبد الرحمن والله أعلم . وقال ابن إسحاق : قال : حدثنى بعض أصحابنا عن أبى هريرة قال : كان اسمى فى الجاهلية عبد شمس ، فسميت فى الإسلام عبد الرحمن ، وإنما كنيت بأبى هريرة لأنى وجدت هرة فحملتها فى كمى فقيل لى : ما هذا ؟ قلت : هرة ، قيل : فأنت أبو هريرة ، وقال : (كنت أحمل هرة يوما فى كمى ، فرآنى رسول الله ﷺ فقال لى : ما هذه ؟ فقلت : هرة ، فقال : يا أبا هريرة) .

أسلم أبو هريرة عام خيبر ، وشهدها مع رسول الله ﷺ ثم لزمه ، وواظب عليه رغبة فى العلم ، فكانت يده مع يد رسول الله ﷺ ، وكان يدور معه حيث دار ، وكان من أحفظ أصحاب رسول الله ﷺ ، وكان يحضر ما لا يحضر سائر المهاجرين والأنصار لاشتغال المهاجرين بالتجارة ، والأنصار بحوائطهم ، وقد شهد له رسول الله ﷺ بأنه حريص على العلم والحديث . وقال له : (يارسول الله إنى قد سمعتُ منك حديثا كثيرا وأنا أخشى أن أنسى ، فقال : ابسط رداءك ، قال : فبسطته فغرف بيده فيه ثم قال ﷺ : ضمه ، فضممتُه) فما نسيت شيئا بعد .

وقال البخارى : روى عنه أكثر من ثمانمائة رجل من بين صاحب وتابع ، وممن روى عنه من الصحابة ابن عباس ، وابن عمر ، وجابر ابن عبد الله ، وأنس بن مالك ، ووائلة بن الأسقع ، ومن كبار التابعين مروان بن الحكم ، وقبيصة بن ذؤيب ، وعبد الله بن ثعلبة ، وسعيد بن المسيب ، وعروة بن الزبير ، وسلمان الأغر ، والأغر أبو مسلم ، وغيرهم ممن لا يحصى عددهم .

وقال الربيع : قال الشافعى : أبو هريرة أحفظ من روى الحديث فى دهره ، وقال أبو الزعيزعة ـ كاتب مروان ـ أرسل مروان إلى أبى هريرة فجعل يحدثه وكان أجلسنى خلف السرير أكتب ما يحدث به ، حتى إذا كان فى رأس الحول أرسل إليه فسأله ، وأمرنى أن أنظر ، فما غير حرفا عن حرف . وفى حديث البخارى عن أبى هريرة قال : لم يكن من أصحاب رسول الله ﷺ أكثر حديثا منى إلا عبد الله بن عمر ، فإنه كان يكتب ولا أكتب .

وأخرج أحمد من حديث أبى بن كعب أن أبا هريرة كان جريئا

على أن يسأل رسول الله ﷺ عن أشياء لا يسأله عنها غيره . وقال أبو نعيم : كان أحفظ الصحابة لأخبار رسول الله ﷺ ، ودعا له بأن يحببه إلى المؤمنين . وكان إسلامه بين الحديبية وخيبر ، قدم المدينة مهاجرا وسكن الصفة . وقال أبو هلال عن محمد بن سيرين عن أبى هريرة قال : لقد رأيتنى أصرع بين منبر رسول الله ﷺ وحجزة عائشة فيقال : مجنون ، وما بى جنون ، زاد يزيد بن إبراهيم عن محمد عنه : وما بى إلا الجوع . وقال مجاهد : عن أبى هريرة قال : والله الذى لا إله إلا هو إنى كنت لأعتمد على الأرض بكبدى من الجوع ، وأشد الحجر على بطنى .

روى أبو كثير عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال : أما والله ما خلق الله مؤمنا يسمع بى ولا يرانى إلا أحبنى ، قال : وما علمك بذلك يا أبا هريرة ؟ قال : إن أمى كانت مشركة ، وإنى كنت أدعوها إلى الإسلام ، وكانت تأبى علىّ ، فدعوتها يوما فأسمعتنى فى رسول الله ﷺ ما أكره ، فأتيتُ رسولَ الله ﷺ وأنا أبكى ، فذكرت له فقال : (اللهم اهدِ أُمَّ أبى هريرة) فخرجت عدوا فإذا بالباب مجاف وسمعت خضخضة الماء ، ثم فتحت الباب فقالت : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، فرجعت وأنا أبكى من الفرح ، فقلت : يا رسول الله ادع الله أن يحببنى وأمى إلى المؤمنين ؛ فدعا .

وفى الصحيح عن الأعرج قال : قال أبو هريرة : إنكم تزعمون أن أبا هريرة يكثر الحديث عن رسول الله ﷺ ، والله الموعد ، إنى كنت امرأ مسكينا أصحب رسول الله ﷺ على ملء بطنى ، وكان

المهاجرون يشغلهم الصفق بالأسواق ، وكان الأنصار يشغلهم القيام على أموالهم ، فحضرت من النبى ﷺ مجلسا فقال : (من يبسط رداءه حتى أقضى مقالتى ثم يقبضه إليه فلن ينسى شيئا سمعه منى) فبسطت بردة علىّ حتى قضى حديثه ثم قبضتها إلىّ ، فو الذى نفسى بيده ما نسيت شيئا سمعته منه بعد .

وعن أبى سلمة جاء أبو هريرة رضى الله عنه فسلم على النبى ﷺ فى شكواه يعوده ، فأذن له فدخل ، فسلم وهو قائم والنبى ﷺ متساند إلى صدر علىّ ويده على صدره ضامة إليه والنبى ﷺ باسط رجليه فقال :

(ادن يا أبا هريرة ، فدنا ثم قال : ادن يا أبا هريرة ، فدنا ، ثم قال : ادن يا أبا هريرة ، فدنا ــ حتى مست أطراف أصابع أبى هريرة أصابع النبى ﷺ ــ ثم قال له : اجلس ، فجلس ، فقال له : ادن منى طرف ثوبك ، فمد أبو هريرة ثوبه فأمسك بيده ففتحه وأدناه من النبى ﷺ ، فقال له النبى ﷺ : أوصيك يا أبا هريرة بخصال لا تدعهن ما بقيت ، قال : أوصنى ما شئت ، فقال له : عليك بالغسل يوم الجمعة ، والبكور إليها ، ولا تلغ ولا تله ، أوصيك بصيام ثلاثة أيام من كل شهر فإنه صيام الدهر ، وأوصيك بركعتى الفجر لا تدعهما وإن صليت الليل كله فإن فيهما الرغائب ، قالها ثلاثا ، ثم قال : ضم إليك ثوبك ، فضم ثوبه إلى صدره ، فقال : يا رسول الله ؛ بأبى وأمى ، أسر هذا أو أعلنه ؟ قال : بل أعلنه يا أبا هريرة ، قالها ثلاثا) .

عن أبى هريرة قال : حفظت من رسول الله ﷺ وعاءين ، فأما أحدهما فبثثته ، وأما الآخر فلو بثثته لقطع هذا البلعوم . ومن طريق يزيد

ابن الأصم عن أبى هريرة وقد قيل له : أكثرت ، فقال : لو حدثتكم بما سمعت لرميتمونى بالقشع ـ أى : الجلود ـ عن سعيد بن العاص قال : قالت عائشة لأبى هريرة : إنك لتحدث بشىء ما سمعته ؟ قال : يا أمه ، طلقتها ، وشغلك عنها المكحلة والمرآة ، وما كان يشغله عنها شىء . والأخبار فى ذلك كثيرة .

عن ابن سيرين أن عمر رضى الله عنه استعمل أبا هريرة على البحرين فقدم بعشرة آلاف ، فقال له عمر : استأثرت بهذه الأموال ؟ فمن أين لك ؟ قال : خيل نتجت ، وأعطية تتابعت ، وخراج رقيق لى ، فنظر فوجدها كما قال ، ثم دعاه ليستعمله ، فأبى ، فقال : لقد طلب العمل من كان خيرا منك ، قال : إنه يوسف نبى الله ابن نبي الله وأنا أبو هريرة بن أميمة ، وأخشى ثلاثا : أن أقول بغير علم ، وأقضى بغير حكم ، ويضرب ظهرى ويشتم عرضى وينزع مالى .

عن سعيد عن أبى هريرة أن رجلا قال له : إنى أصبحت صائما فجئت أبى فوجدت عنده خبزا ولحما فأكلت حتى شبعت ، ونسيت أنى صائم ، فقال أبو هريرة : الله أطعمك ، قال : فخرجت حتى أتيت فلانا فوجدت عنده لقحة تحلب فشربت من لبنها حتى رويت ، قال : الله سقاك ، قال : ثم رجعت إلى أهلى فنمت فلما استيقظت دعوت بماء فشربته ، فقال : يا ابن أخى أنت لم تعود الصيام .

عن أبى سلمة بن عبد الرحمن قال : دخلت على أبى هريرة وهو شديد الوجع ، فاحتضنته فقلت : اللهم اشف أبا هريرة ، فقال : اللهم لا ترجعها ـ قالها مرتين ـ ثم قال : إن استطعت أن تموت

فمت ، والله الذى نفس أبى هريرة بيده ، ليأتين على الناس زمان يمر الرجل على قبر أخيه فيتمنى أنه صاحبه .

عن أبى هريرة قال : إذا مت فلا تنوحوا على ، ولا تتبعونى بمجمرة ، وأسرعوا بى . وأخرج البغوى من وجه آخر عن أبى هريرة أنه لما حضرته الوفاة بكى ، فسئل ، فقال : من قلة الزاد وشدة المفازة . ومن طريق مالك عن سعيد المقرى قال : دخل مروان على أبى هريرة ، فى شكواه التى مات فيها ، فقال : شفاك الله ، فقال أبو هريرة : اللهم إنى أحب لقاءك فأحبب لقائى ، فما بلغ مروان وسط السوق حتى مات رضى الله عنه سنة سبع وخمسين ، بعد أن عاش ثمانيا وسبعين سنة .

أبو الدرداء الأنصارى :

واسمه عويمر بن عامر بن زيد بن قيس ، وقيل : عويمر بن قيس بن زيد بن أمية ، وقيل غير ذلك .

تأخر إسلامه قليلا ، وكان آخر أهل داره إسلاما ، وحسن إسلامه ، وكان فقيها ، عاقلا حكيما ، آخى رسول الله ﷺ بينه وبين سلمان الفارسى . روى عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : (عويمر حكيم أمتى) شهد ما بعد أحد من المشاهد ، واختلف فى شهوده أحداً .

عن مسروق قال : شافهت أصحاب محمد ﷺ فوجدت علمهم انتهى إلى ستة : علىّ ، وعمر ، وعبد الله بن مسعود ، ومعاذ ، وأبى الدرداء ، وزيد بن ثابت ، رضى الله عنهم . عن القاسم بن عبد الرحمن قال : كان أبو الدرداء من الذين أوتوا العلم . عن عوف بن

مالك أنه رأى فى المنام قبة أدم فى مرج أخضر وحول القبة غنم ربوض تجتر وتبعر العجوة ، قال : فقلت : لمن هذه القبة ؟ قيل : لعبد الرحمن بن عوف ، فانتظرناه حتى خرج ، فقال : ياعوف ، هذا الذى أعطانا الله بالقرآن ، ولو أشرفت على هذه الثنية لرأيت بها ما لم تر عينك ، ولم تسمع أذنك ، ولم يخطر على قلبك مثله ، أعده الله لأبى الدرداء ، أنه كان يدفع الدنيا بالراحتين والصدر .

عن عبد الرحمن الحجرى قال : قال أبو ذر لأبى الدرداء : ما حملت ورقاء ، ولا أظلت خضراء أعلم منك يا أبا الدرداء . عن يزيد بن عميرة قال : حضرت معاذ بن جبل الوفاة ؛ قيل له : ياأبا عبد الرحمن أوصنا : فقال : أجلسونى ، إن للعلم والإيمان مكانهما من ابتغاهما وجدهما ــ يقولها ثلاث مرات ــ التمسوا العلم عند أربعة رهط : عند عويمر أبى الدرداء ، وسلمان الفارسى ، وعبد الله بن مسعود ، وعبد الله بن سلام ــ الذى كان يهوديا فأسلم ــ فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : (إنه عاشر عشرة فى الجنة) .

وروى من حديث ابن عيينة أنه قيل لأبى الدرداء : مالك لا تقول شعرا ، وكل لبيب من الأنصار قال الشعر ؟ فقال : وأنا قد قلت شعرا ، فقيل : وما هو ؟ قال :

يريد المرء أن يعطى مناه
ويأبى الله إلا ما أرادا
يقول المرء فائدتى ومالى
وتقوى الله أفضل ما استفادا

عن يزيد بن أبى مريم : أن عبيد الله بن مسلم حدثه عن أبى الدرداء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنا فرطكم على الحوض ، فلا ألفين مانوزعت فى أحدكم ، فأقول : هذا منى ، فيقال : إنك لا تدرى ما أحدث بعدك ، فقلت : يارسول الله ادع الله أن لا يجعلنى منهم ، قال : لست منهم) فمات قبل قتل سيدنا عثمان رضى الله عنه بسنتين على الأصح من الأقوال ، بعد أن ولى قضاء دمشق .

وله رضى الله عنه حكم مأثورة منها قوله : وجدت الناس أخبر تقله ، أى : اختبر من شئت منهم تفر منه وتعاديه . ومنها : من يأت أبواب السلطان يقم ويقعد . ووصف الدنيا فأحسن ، فمن قوله فيها : الدنيا دار كدر ، ولن ينجو منها إلا أهل الحذر ، ولله فيها لعلامات يسمعها الجاهلون ويعتبر بها العالمون ، ومن علاماته فيها أنه حفها بالشهوات ، فارتطم فيها أهل الشبهات ، ثم أعقبها بالآفات فانتفع بذلك أهل العظات ، ومزج حلالها بالمؤنات وحرامها بالتبعات ، فالمثرى فيها تعب ، والمقل فيها نصب ، فى كلمات أكثر من هذا .

الفصل الرابع

أهل الفرقة الناجية هم السائحون

السـائحون :

قبل أن نشرح مقامات السائحين وأحوالهم ونبين مشاهدهم العلية التى تفضل الله بها عليهم بعد أن وهبهم الهمة العلية ، نتكلم على السياحة ــ كعادتنا فى ذلك ــ ليستبين للمطالع معنى السياحة ؛ فيفهم أوصاف السائحين .

السياحة :

هى الذهاب فى الأرض لنيل قصد ، وهذا القصد إما أن يكون واجبا شرعا لعاجل الدنيا والسعى فى طلب الرزق ، أو لآجل الآخرة كطلب العلم والحج والجهاد ، والبحث عن العلماء المرشدين ، أو لكشف خبايا الملكوت والسير إلى الله تعالى ، فالأول مأخوذ من قوله تعالى : ﴿ **فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه** ﴾[١] والثانى مأخوذ من قوله تعالى : ﴿ **وإذ قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضى حقبا** ﴾[٢] والثالث مأخوذ من قوله تعالى : ﴿ **سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق** ﴾[٣] .

---

(١) سورة الملك آية ١٥ .

(٢) سورة الكهف آية ٦٠ .

(٣) سورة فصلت آية ٥٣ .

ولما كنت أكتب بمعنى الآية الشريفة ، لبيان أحوال أهل الفرقة الناجية ، كان ولابد من أن يكون كلامى محصورا فيهم ، فإن السائح منهم فى طلب الدنيا سائح لله ، لقيامه بما أوجبه عليه وهو فى طاعة حتى يرجع إلى أهله ، والسائح لطلب الآخرة لحج أو علم أو صحبة عارف فهو أيضا سائح لله لأنه قائم بفرائض الله ، والسائح فى طلب كشف خبايا الملكوت هو أيضا سائح لله تعالى ؛ لأنه مجذوب للجناب المقدس بخالص المحبة والتوحيد .

أحكام السياحة وأقسامها :

أما أحكام السياحة لطلب الدنيا أو لطلب الآخرة فقد بيناها فى (أصول الوصول) وآداب طلب العلم وصحبة العلماء فى كتاب (معارج المقربين) ، ونحن ــ بعون الله وحسن توفيقه ــ نتكلم هنا لكشف خبايا الملكوت الأعلى ، وهى سياحة أفراد أهل الفرقة الناجية الذين تسبق هممهم أقدامهم فى سياحتهم ، وتلك السياحة إما روحانية فقط ــ ويعبر عنها بالسياحة بالقلوب ــ وإما جسمانية روحانية ــ فيعبر عنها بالسفر ــ والسياحة إما أن تحصل من مريد واجد لا يقر له قرار ، لتقلب قلبه ورغبة المزيد لجسمه ليتكمل بسياحته ؛ أو لواصل متمكن لينال المزيد من الله بتكميل غيره ، والسائح بجسمه المنتقل من مكان إلى مكان لايهمنا التكلم فيه ، والسائح بقلبه المنتقل من صفة إلى صفة ومن مشهد إلى مشهد ؛ هو السائح حقا وإن لم ينتقل بجسمه خطوة واحدة ، قال الإمام القشيرى : سئل بعض مشايخ الطريق فقيل له : هل سافرت ؟ فقال : سفر الأرض أم سفر السماء ؟ سفر الأرض : لا ، وسفر السماء : بلى .

وجاء رجل إلى عارف بالله فقال : قطعت إليك شقة طويلة ، فقال له العارف : كان يكفيك خطوة واحدة لو سافرت عن نفسك . وقال الأستاذ الحصرى : جلسة خير من ألف حجة ، والمراد جلسة تجمع الهم حتى يكاشف بالأفق العلى ، فيكون قد انتقل من أفق دنى إلى أفق علىّ وهو فى جلسته لم ينتقل من مكانه . وقد فسر بعض العلماء السياحة فى القرآن بالصيام أخذا من قوله ﷺ : (سياحة أمتى الصيام) وذلك لما بين الصيام والسياحة من الشبه ، فإن الصائم محروم من حظوظه وشهواته المباحة ، وكذلك السائح ، فإنه يتحمل من عناء السياحة وشدة السفر وفقد مألوفة ما لا يطيقه إلا أهل العزائم من الفرقة الناجية ، الذين علموا قدر فضل الله عليهم ونعمته الواصلة إليهم وما أعده لمن أقبل عليه ، وفارق مألوفاته لأجله ، قال تعالى : ﴿ **هو الذى يسيركم فى البر والبحر** ﴾[1] وقال تعالى : ﴿ **قل سيروا فى الأرض فانظروا** ﴾[2] وما من نبى ولا ولى إلا وقد تفضل الله عليه بالسياحة الجامعة بين سياحة الروح والجسم ، وقد أمر الله المخلصين من عباده بالفرار إليه فقال سبحانه : ﴿ **ففروا إلى الله إلى لكم منه نذير مبين** ﴾[3] .

أنواع السياحة :

والسياحة إلى كشف خبايا الملكوت ثلاثة أنواع :

١ ـ سياحة فى النفس وفى الأرض وفى السماء : وهى للعارفين .

---

(١) سورة يونس آية ٢٢ .

(٢) سورة النمل آية ٦٩ .

(٣) سورة الذاريات آية ٥٠ .

٢ - وسياحة فى الأرض : وهى للمريدين .

٣ - وسياحة فى السماء : وهى للمجذوبين بمشهد من مشاهد التوحيد عن انبلاج الآيات .

فالمقام الأول للعارفين من كمل ورثة رسول الله ﷺ .

والثانى للتلاميذ الذين ذاقوا من علوم التوحيد ما يجعلهم يتفكرون فيما يشهدون من الآيات فى الأرض كما قال تعالى : ﴿ **فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد فى السمٰوات والأرض وعشيا وحين تظهرون يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ويحيى الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن فى ذلك لآيات للعالمين ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله إن فى ذلك لآيات لقوم يسمعون ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا وينزل من السماء ماء فيحيى به الأرض بعد موتها إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون** ﴾(١) .

وأهل المقام الثالث هم المجذوبون إلى ملكوت الله الأعلى ، المؤهلون لليقين ، قال الله تعالى : ﴿ **وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السمٰوات والأرض وليكون من الموقنين** ﴾(٢) .

(١) سورة الروم آية ١٧ - ٢٥ .

(٢) سورة الأنعام آية ٧٥ .

لماذا لم يتكلم السابقون فى أسرار السياحة :

لما كانت أسرار السياحة لم يتكلم عنها الرجال إلا بإشارات ، لأنها فيما يتعلق بالأئمة ، وهى غيب عن قوى العقول ، ولكنى رغبة فى نيل رضوان الله تعالى ، ورضوان رسول الله ﷺ ، ونفع الراغبين من أهل الإخلاص ، استحسنت أن أفصل بعض ما يتعلق بالسياحة فى مقاماتهم ، لأن الأئمة رضى الله عنهم أمسكوا عن شرح تلك المقامات فى كتبهم لاعتقادهم أنها تكون من صولة مشاهد التوحيد ، وجذبة تجلى الحق سبحانه وتعالى ، وظهور آياته فى النفس وفى السموات وفى الأرض ، وتدعو السالك فى طريق الله إلى السياحة بحال قاهرة ، ووجد جاذب فيتنعم بمشاهد تلك الآيات ، ويأنس فى كل نزل ينزله بأنوار التجليات ، فطووا رضى الله عنهم بساطها لتكون الرغبة فيها عن وجد ويقين ، بعد صولة الكشف على القلب ، وعملا بقوله ﷺ : (من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم) .

ما دعانى إلى بيان تلك الأسرار :

ودعانى إلى بيان تلك الأسرار بالعبارة والكتابة قصور الهمم ، وفتور العزيمة ، وعكوف القلب على الدنيا ، وعدم الرغبة فيما عند الله ، فشرحت أسرارها حثا للهمم ، ويقظة للقلوب ، وتنبيها للأفكار ، والله الموفق لأقوم سبيل ، أسأله سبحانه وتعالى أن يهدينى الصراط المستقيم ، وأن يمدنى بروح منه ، ويحفظنى من البدع المضلة ، ومن مخالفة السنة ، إنه مجيب الدعاء ، آمين .

أئمة السائحين :

أئمة السائحين رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم ، وإمامهم الأعظم هو رسول الله ﷺ ، لأن الله تعالى أسرى به جسما وروحا

مطلوبا ، مرادا ، محبوبا ، وهو المقام العلى الذى تقاصرت عن إدراكه أرواح أولى العزم من الرسل ، على نبينا وعليهم الصلاة والسلام ، فضلا عن أجسامهم الطاهرة .

مشاهد الأنبياء ودرجاتهم فى السياحة :

كانت سياحته ﷺ فوق كل سياحة الرسل عليه وعليهم الصلاة والسلام ، فإن الله أرى الخليل عليه الصلاة والسلام ملكوت السمٰوات والأرض فخرج قائلا : ﴿ **إنى ذاهب إلى ربى سيهدين** ﴾(١) وسياحة الكليم عليه الصلاة والسلام للقيا العبد الصالح ، لمزيد العلم . وسياحة سيدنا نوح عليه الصلاة والسلام لنجاته من الطوفان ، ومن قومه . وسياحة كل نبى للنجاة من أعداء الله تعالى . وسياحته ﷺ كانت بالله وإلى الله ، فأشهده آيات ملكه وملكوته ، وجلال عزته وجبروته ، وحظائر قدسه ولاهوته ، حتى دنا ﷺ بالله ، وتدلى له الله ، وأوحى إليه من غيب كمالاته ، وعلىّ جمالاته وجلالاته ، ما أبهمه الحق سبحانه وتعالى علوا له أن يدركه غير حبيبه ومصطفاه ﷺ ، وتنزيها له عن أن يحيط به أحد غيرالفرد المراد لذات الله تعالى ، قال تعالى : ﴿ **فأوحى إلى عبده ما أوحى ماكذب الفؤاد ما رأى** ﴾(٢) والفؤاد قررنا أنه برزخ بين القلب والجسم ، فكأنه ﷺ كان فى دنوه من ربه بجسمه وروحه حينما تدلى الرب تعالى له عليه الصلاة والسلام ، ولو لم يكن ذلك كذلك لقال : ماكذبت الروح مارأت .

---

(١) سورة الصافات آية ٩٩ .

(٢) سورة النجم آية ١٠ ـ ١١ .

فإذا كان أئمة أهل السياحة هم رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم ؛ فلكل سائح من أولياء الله قسط من تلك المواهب الإلهية ، ومشرب من تلك الموارد العلية ، ومشهد من تلك المشاهد الربانية ، وإنى أنبه القارىء الذى لم يتفضل الله عليه بذوق ما سأبديه من غوامض أسرارهم أن يتحصن بدرع التسليم ، وأن يعتقد أن عجائب القدرة وغرائب تصريفها وأسرار الحكمة وخفى غيبيها ، نور لا يشرق إلا على نفس تزكت ، وقلب اطمأن بذكر الله ، وبدن حفظه الله من الوقوع فيما يكره ، وعقل عقل عن الله .

وقد أخطأ بعض من يدعى العلم ، فحكم على القدرة والحكمة بما يحكم به على قدرته وحكمته ، فشبه القديم بالحادث ، وزعم - لجهله بنفسه - أنه لا قدرة فوق قدرته ، ولا حكمة إلا ما عرف ، وكل سر تظهره القدرة لكمال إطلاقها ، وكل سر تظهره الحكمة من الأسرار التى تناسب الحكيم الخبير العلى الكبير ينكره لأن عقله الذى يعقل عن نفسه وعن الكون لايقبله ، وشتان بين العالم الربانى الذى يعقل عن الله تعالى ، وبين الجاهل المحجوب بنفسه وحسه وعقله ، فإن الأول قال كما أخبر الله تعالى عنه : ﴿ **آمنا به كل من عند ربنا** ﴾[1] وقال فى حق غيرهم من الذين عقلوا بغير عقلهم الإنسانى : ﴿ **ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون** ﴾[2] .

فأكرر تنبيهى على إخوانى أن السالك منهم يجب عليه أن يسلم تلك المقامات ، وأن يستعيذ بالله من أن يدعيها لنفسه بلا وجد

(١) سورة آل عمران آية ٧ .

(٢) سورة الأنفال آية ٢٣ .

صادق ، أو جاذب قاهر ، فإن دعواها بلا تحقق بمشاهدها ، وتجمل بأحوال أهلها ، واقتداء بأئمة أهلها ، كذب على الله تعالى ، قال الله تعالى ﴿ **إنما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون** ﴾(١) فإن تلك الأسرار العلية نفائس قدسية قد تلقى بين أهل الرجس فينكرونها ، ويزدرون بها ، وقد تلقى بين أهل التسليم من السالكين فيخرجون عن مقاماتهم الاعتدالية ، ويدعونها تقليدا ، فيكون ضررا لكل من الطائفتين ، فتأبى نفوسهم الخبيثة التى سجل الله عليها الشقاء إلا محاربة رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم ، فيخسف الله بهم الأرض .

ومشاهد سيدنا لوط عليه الصلاة والسلام فى هجرته وسياحته فوق أن تسطر على الأوراق ، وأعلى من أن تمثل بالعبارة .

ثم هاجر الخليل ﷺ ، ومعه زوجه سائحا منتقلا من الكون إلى المكون سبحانه ، فارا إلى الله سبحانه ، مفارقا أقرب الخلق منه ، وألصقهم به وأرحمهم عادة ، وما يدرينا قدر تلك الجواذب الإلهية التى أخرجته ﷺ متوجها إلى ربه .

لعلك أيها المطالع ـ إذا تبصرت ـ تلوح عليك أنوار شمس الخلة الخالصة ، التى تجعل الخليل لا يقر له قرار إلا بالاقبال بالكلية على خليله ، والفناء عن نفسه به ، والرغبة عن كل شيء فيه .

ثم هاجر الكليم صلوات الله وسلامه عليه ومعه قومه من أرض تعودوا على نباتها ومائها ؛ إلى صحارى قاحلة وشدائد فادحة ، وقد بين القرآن المجيد قدر آلامهم ، وشكواهم بعد السياحة وتمنيهم

---

(١) سورة النحل آية ١٠٥ .

ما كانوا فيه ؛ ليظهر لك جليا أن السياحة فرار إلى الله ، وإقبال على حضرته بالكلية ، وإنما تمنى ـ أى : ذلك الرجوع إلى مصر ، وإلى ماتعودوه من النبات ـ بعض من لم يكمل إيمانهم ، ممن لم يذوقوا حلاوة السياحة لله .

وإلا فأهل السياحة ماخرجوا من مكان إلى غيره ؛ ولا من صفة إلى غيرها ؛ ولا من حال إلى غيره ؛ إلا وما خرجوا منه كان أحب إلى أنفسهم أولا مما خرجوا إليه ، حتى داهمتهم صولة المحبة الإلهية ، وجذبهم اصطلام الشوق إلى ما كوشفوا به من جمال ملكوته الأعلى ، فصارت الآلام لهم ملاذًا ، والشدائد لهم مسرات ، فخرجوا متوجهين لربهم جل جلاله ، فرحين بالقرب منه ، مبتهجين بالحب فيه ، مسرورين بما نالوا من الفوز والخلاص مما كانوا فيه .

ولما كانت السياحة سنة رسل الله ؛ وكان التعلق بالأهل والأقارب مما يدعو إلى السكون بالأماكن ، وعمل المعدات ، لذلك لم يشتهر منهم بالسياحة حتى صارت علما عليه إلا من لا زوجة له ولا ولد ولا والد ، وهو المسيح على نبينا وعليه الصلاة والسلام ، فإنه بلغ من التخلى عن الدنيا مبلغا حتى قال : أنا لا أم لى ولا أخوة ـ لأمه وإخواته ـ فراغا لقلبه ، وراحة لبدنه ، وإقبالا على السياحة بالكلية ، حتى أن بعض الرجال يقول : إنه إمام هذه الطائفة ـ يعنون أهل السياحة ـ الذين صرفوا عمرهم فى السياحة قلبا وقالبا فلم يركنوا إلى الدنيا ، ولم يسكنوا إليها . ومشاهد الرسل صلوات الله وسلامه عليهم المقتضية لتلك الأحوال الخارقة للعادة البشرية ؛ هى الحجة لمن خرقوا عوائدهم البشرية ، فخرقت لهم العادة فى أحوالهم ومعاملاتهم .

الأمة المحمدية تجملت بما تجمل به الرسل السابقون :

وقد تفضل الله تعالى على أمة حبيبه صلوات الله وسلامه عليه فجعل منهم أفرادا جملهم بما جمل به رسله السابقين ، وأقامهم مقامات سجد العقل دون أعتابها ، وأشهدهم مشاهد أفناهم بها عن وجودهم الكونى ، حتى خرجوا عن عوائدهم ، ومألوفاتهم ، واستلانوا ما استوعره غيرهم ، وأنسوا بما استوحش منه سواهم ، فأحوالهم أدهشت العقول ، غبطتهم ملائكة السموات ؛ ولا عجب فإن الرسل الذين ساحوا فارين إلى الله كان الوحى أنيسهم ، واليقين الحق شهودهم ، وإكرام الله لهم حيث كانوا ، تظلهم الغمامة ، وتظهر لهم الملائكة جليا فيدفعون عنهم ويعينونهم وأصحاب رسول الله ﷺ والتابعون لم يكن لهم إلا إيمان بالله ورسوله ، وحب خالص لله ورسوله ، وإليك ما تحملوه رضى الله عنهم :

اشتدت وطأة كفار قريش عليهم شدة تذوب القلوب عند ذكرها ، وتقشعر الجلود عند سماعها ، فكان يؤخذ الرجل منهم فيعذب فى الله لأنه أسلم ، فيلقى على ظهره على الأحجار الحارة ، ويوضع حجر ثقيل على صدره ، ويدوس عليه العبيد والإماء حتى يغمر ، ويقال له : ارجع عن دينك ، فيأبى .

ثم خرجوا رضى الله عنهم مهاجرين إلى الحبشة ، وما هى بلاد الحبشة بالنسبة لمكة ؟ بينها وبين مكة مسافة خمسة أشهر فى البر ، وشهر فى البحر الملح ، ثم شهر آخر حتى يصل إليها ، فى صحارى قاحلة ، وغابات ماحلة ، بين سباع ووحوش وظمأ وجوع ، لم يردهم ذلك عن دينهم .

إليك أسلم الحكم عليهم ، فما دعاهم إلى ذلك ؟ والله ما دعاهم إليه إلا كشف الحجاب عن حقيقة الدنيا ، ورفع الستار عن جمالات الآخرة ، وعلم بلغ بهم إلى معرفة أنفسهم فعرفوا ربهم ، ففروا إليه متلذذين بالمتاعب كما فعل رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم . تلك مشاهد علية وأنوار جلية ، يقول العاقل : جنون ، ولكن فى محبة الله ، وطلب رضوانه الأكبر . وخروج عن الاعتدال ، ونعم ! فى نظرك ، ولكنه مسارعة إلى نيل الخير الحقيقى فى نفس الأمر ، ونيل خير دونه النفيس والنفس ، والأمل والولد ، بل والدنيا والآخرة ، هو رضوان الله الأكبر الذى بشرهم به فى الدنيا بنص القرآن المجيد الذى أنزله على نبيه ، وفى الآخرة بنص الحديث الصحيح الذى يقول فيه ﷺ عن ربه : (أحل عليكم رضوانى فلا أسخط عليكم بعده أبدا) مخاطبا لهم فى فردوسه الأعلى ، أسأل الله أن يجعلنا منهم ، ويتفضل علينا ببركتهم .

من هم أهل السياحة ؟

أما من الصحابة فكثيرون ، لأنهم رضى الله عنهم وأرضاهم هاجروا جميعا إلى الحبشة وإلى المدينة وغيرهما ، الهجرة الحقة التى خصصهم الله بها وأفردهم لها ، ورفعت مقاماتهم العلية عن أن ينافسهم فيها غيرهم ، حتى بلغوا مبلغا تغبطهم الملائكة والانبياء لقربهم من الله ، لما وفقهم له وأعانهم عليه سبحانه ، وجملهم بمعانى موجبات رضوانه الأكبر ، ودامت تلك الأبواب مفتحة لمن جذبتهم عناية الله حتى فتحت مكة لرسول الله ، فسبق المفردون ، وصار المهاجر بعدها لا يبلغ معشار ما بلغوا ، رضى الله عنهم وأرضاهم .

فمنهم سيدنا عثمان بن عفان ، وزوجته السيدة رقية رضى الله عنها

بنت رسول الله ﷺ معه ، وهو أول من هاجر بأهله بعد سيدنا لوط عليه الصلاة والسلام كما ورد فى الخبر : (إن عثمان لأول من هاجر بأهله بعد لوط عليه السلام) وكان مع السيدة رقية أم أيمن حاضنة النبى صلى الله عليه وسلم .

ومنهم أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة وامرأته معه سهلة بنت سهيل ، وأبو سلمة بن عبد الأسد هاجر ومعه زوجته أم سلمة رضى الله عنها .

وممن هاجر بأهله عامر بن أبى ربيعة ؛ هاجر ومعه زوجته ليلى العدوية ، وأبو سبرة ـ وهو أخو أبو سلمة رضى الله عنه لأمه ـ هاجر ومعه زوجته أم كلثوم .

وممن هاجر بلا زوجة عبد الرحمن بن عوف ، والزبير بن العوام ، ومصعب بن عمير ، وعثمان بن مظعون ، وسهيل بن البيضاء ، وأبو سبرة بن أبى رهم وخاطب بن عمرو العامريان ، وعبد الله بن مسعود رضى الله عنهم . ومن الذين خرجوا إلى الحبشة فى الهجرة الثانية جعفر بن أبى طالب ومعه زوجته أسماء بنت عميس ، والمقداد بن الأسود ، وعبد الله بن مسعود ، وعبيد الله بن جحش ومعه زوجته أم حبيبة بنت أبى سفيان ، وغيرهم ممن لا يحصى عددهم .

وخرج الصديق الأكبر سيدنا أبو بكر رضى الله عنه مهاجرا نحو أرض الحبشة حتى إذا وصل برك الغماد ـ وفى رواية حتى إذا سار يوما أو يومين ـ لقيه ابن الدغنة ، وهو سيد القارة واسمه الحارث ـ والقارة قبيلة مشهورة كان يضرب بها المثل فى قوة الرمى ومن ثم قيل لهم : رماة الحدق ، لاسيما ابن الدغنة ـ قال له : أين تريد يا أبا

بكر ؟ قال : أخرجنى قومى فأريد أن أسيح فى الأرض فأعبد ربى ، قال ابن الدغنة : فإن مثلك يا أبا بكر لا يخرج ، إنك تكسب المعدوم ، وتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتقرى الضيف ، وتعين على نوائب الحق ، وأنا لك جار فارجع فاعبد ربك ببلدك ، فرجع معه . فطاف ابن الدغنة فى أشراف قريش وقال لهم : إن أبا بكر لا يخرج مثله ، أتخرجون رجلا يكسب المعدوم ، ويصل الرحم ويحمل الكل ، ويقرى الضيف ، ويعين على نوائب الحق ؟ وهو فى جوارى . فلم تكذب قريش بجوار ابن الدغنة ، أى : لم يرد جواره ، وقالوا لابن الدغنة : مر أبا بكر فليعبد ربه فى داره فليصل فيها وليقرأ ما شاء ، ولا يؤذنا بذلك ولا يستعلن به ، فإنا نخشى أن يفتن نساءنا وأبناءنا ، فقال ابن الدغنة ذلك لأبى بكر رضى الله عنه .

فمكث أبو بكر يعبد ربه فى داره ، ولا يستعلن بصلاته ، ولا يقرأ فى غير داره ، ثم ابتنى مسجدا بفناء داره فكان يصلى فيه ، ويقرأ القرآن ، وكان رجلا بكاء لا يملك عينيه إذا قرأ القرآن ، فكانت نساء قريش يزدحمن عليه فأفزع ذلك كثيرا من أشراف قريش من المشركين ، فأرسلوا إلى ابن الدغنة فقدم عليهم ، فقالوا : إنا أجرنا أبا بكر بجوارك على أن يعبد ربه فى داره ، فقد جاوز ذلك فابتنى مسجدا بفناء داره وأعلن بالصلاة والقراءة وإنا قد خشينا أن يفتن نساءنا وأبناءنا بهذا ، فإن أحب أن يقتصر على أن يعبد ربه فى داره فعل ، وإن رأى أن يعلن بذلك فاسأله أن يرد إليك ذمتك ، فإنا قد كرهنا أن نخفرك ــ أى : نزيل خفارتك وننقض جوارك ونبطل عهدك ــ فأتى ابن الدغنة أبا بكر فقال : قد علمت الذى قد عاقدتُ لك عليه ، فإما أن تقتصر على ذلك وإما أن تُرجع إلىّ ذمتى ، فإنى لا

أحب أن تسمع العرب أنى أخفرت ـ أى : أزيلت خفارتى ـ فى رجل عقدت له ، فقال أبو بكر : فإنى أرد عليك جوارك وأرضى بجوار الله تعالى ، قال : ولما رد جوار ابن الدغنة لقيه بعض سفهاء قريش وهو عابر إلى الكعبة فحثى على رأسه ترابا فمر عليه بعض كبراء قريش من المشركين فقال له أبو بكر رضى الله عنه : ألا ترى ماصنع هذا السفيه ؟ فقال له : أنت قطعت بنفسك ، فصار أبو بكر يقول : رب ما أحلمك على ذلك (ثلاثا) .

كيف خرجوا :

خرجوا مشاة على أقدامهم ، خائفين على دينهم وأنفسهم ، يمشون الليل والنهار بين طلب العدو وملاقاة ما لا قبل للإنسان به ، بصبر يراه العاقل مستحيلا على الإنسان ، وهمة فى الله تعالى لا تتصورها العقول ، حتى صار الصبر رضا ، والوحشة أنسا ، والغربة قربا ، كل ذلك لما واجههم به الولى الحميد القريب المجيب اللطيف الخبير من أنوار جماله ، وما تفضل به عليهم من العلم بكماله ، وما حققهم به من اليقين الحق بخالص التوحيد وحقيقة المحبة ، فكان نصب السفر ، ووصب الجهد ، وعناء مايلقونه كأنه ملاذ وبهجة ، بالنسبة لما تحققوا بالفوز به من سلامتهم بدينهم من أعدائهم ، وما تيقنوا به من نيل رضاء الله سبحانه وتعالى ، ورسول الله ﷺ ، وما اعتقدوه حقا من ولاية الله لهم ، مع أن كل تلك الشدائد كان يمكن أن يدفعها عنهم مداراة أو كتم أحوالهم ، ولكن باعث الحب ، وداعى الوجد ، وشهود الحق بانبلاج آياته وإشراق أنواره يقهر المرادين لله تعالى ، ولو تتبعنا أحوالهم العلية لظهر لنا الحق جليا .

ما وقع لأبى بكر من الأذى :

هذا الإمام ـ سيدنا أبو بكر الصديق رضى الله عنه ـ وقع له من الأذى ما ذكره بعضهم أن رسول الله ﷺ دخل دار الأرقم ليعبد الله تعالى ومن معه من أصحابه فيها سرا ، وكانوا ثمانية وثلاثين رجلا ، ألح أبو بكر رضى الله تعالى عنه على رسول الله ﷺ فى الظهور ـ أى : الخروج إلى المسجد ـ فقال : (ياأبا بكر إنا قليل) فلم يزل به حتى خرج رسول الله ﷺ ومن معه من أصحابه إلى المسجد ، وقام أبو بكر فى الناس خطيبا ـ ورسول الله ﷺ جالس ـ ودعا إلى الله ورسوله ، فهو أول خطيب دعا إلى الله تعالى ، وثار المشركون على أبى بكر وعلى المسلمين يضربونهم ، فضربوهم ضربا شديدا ، ووطىء أبو بكر بالأرجل وضرب ضربا شديدا ، وصار عتبة بن ربيعة يضرب أبا بكر بنعلين مخصوفتين ـ أى : مطبقتين ـ ويحرفهما إلى وجهه ، حتى صار لايعرف أنفه من وجهه .

فجاءت بنو تيم يتعادون فأجلت المشركين عن أبى بكر ، وحملوه فى ثوب إلى أن أدخلوه فى منزله ، وهم لا يشكون فى موته ، ثم رجعوا ودخلوا المسجد فقالوا : والله لئن مات أبو بكر لنقتلن عتبة ، ثم رجعوا إلى أبى بكر ، وصار والده أبو قحافة وبنو تيم يكلمونه فلم يجب ، حتى إذا كان آخر النهار تكلم وقال : مافعل رسول الله ﷺ ؟ فعذلوه ، فصار يكرر ذلك فقالت أمه : والله مالى علم بصاحبك ، فقال : اذهبى إلى أم جميل بنت الخطاب أخت عمر بن الخطاب ـ فإنها كانت أسلمت رضى الله عنها وهى تخفى إسلامها ـ فاسأليها عنه ، فخرجت إليها وقالت لها : إن أبا بكر يسأل عن محمد ابن عبد الله ، فقالت : لا أعرف محمدا ولا أبا بكر ثم قالت لها :

تريدين أن أخرج معك ؟ قالت : نعم ، فخرجت معها إلى أن جاءت أبا بكر رضى الله عنه فوجدته صريعا ، فصاحت وقالت : إن قوما نالوا هذا منك لأهل فسق ، وإنى أرجو أن ينتقم الله منهم ، فقال لها أبو بكر : ما فعل رسول الله ﷺ ؟ فقالت له : هذه أمك تسمع ، قال : فلا عين عليك منها ـ أى : لأنها لاتفشى سرك ـ قالت : سالم ، فقال : أين هو ؟ قالت : فى دار الأرقم ، فقال : والله لا أذوق طعاما ولا أشرب شرابا أو آتى رسول الله ﷺ ، قالت أمه : فأمهلنا حتى إذا هدأت الرجل وسكن الناس فخرجنا به يتكىء علىّ ، حتى دخل على رسول الله ﷺ فرق له رقة شديدة ، وأكب عليه يقبله ، وأكب عليه المسلمون كذلك ، فقال : بأبى وأمى أنت يارسول الله ما بى من بأس إلا ما بأس من وجهى ، وهذه أمى برة بولدها ، فعسى الله أن ينقذها بك من النار ، فدعا لها رسول الله ﷺ ، ودعاها إلى الإسلام فأسلمت .

لعلك أيها القارىء تعلم قدر حب الله لتلك المشاهد ، وإقباله سبحانه على من يتجمل بتلك المعانى ، بعد علمك بسرور رسول الله ﷺ بسلامة صديقه ، وبعد تحققك بمحبة الصديق لرسول الله ﷺ ، وبذله نفسه ليقتل فداء لرسول الله ﷺ ، وإشفاقه عليه حتى كان أول خاطر خطر عليه بعد إفاقته من غمرته سؤاله عن رسول الله ﷺ وسعيه إليه وهو فى حالة الألم التى تنسى الإنسان نفسه .

كل ذلك دليل على أنهم رضوان الله عنهم كان يمكنهم أن يداروا ، ولكن محبة الله الخالصة ، وغيرتهم على دينهم الحق ، ورحمتهم الواسعة على بنى الإنسان دعتهم أن يقوموا مقاما لم يقمه إلا رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم .

وكم كان يرتل الصديق القرآن فى شوارع مكة ، ويبكى فيجتمع عليه النساء والصبيان يبكون معه ، فيقوم كفار قريش مسارعين إلى أذيته وهو لا يرجع ، حتى أنذروه بالقتل ، فخرج مهاجرا بدينه إلى الله تعالى وهو سيد بنى تيم ، وعظيم قريش ، وصاحب راياتهم ومشورتهم ، فكيف بغيره من المستضعفين ؟! كل ذلك كان والصدور منشرحة ، والقلوب مطمئنة ، والنفوس ساكنة إلى الله ، فلم يكن ذلك بمجرد أن يقول المسلم : إنى مسلم ، لا والله ، ولكن بمشاهد جذبت تلك الأرواح إلى حضرة الفتاح ، ويقين تلذذت فيه الأشباح بالآلام ، حتى صارت الشدة عندهم رخاء ، والفقر غنى ، والذل عزا .

بعض ما حصل لهم من أذية المشركين :

أورد عليك نموذجا من صبر الصحابة على أذية المشركين ، ترويحا لنفسك ، وميزانا تزن به أحوالك الصادرة عن شهود التوحيد ، وخالص المحبة لله بعد العلم ، لتعلم قدر الدين عند من اجتباهم الله ، ودعاهم داعى الأزل دعوة القبول ، فإنهم لما سمعوا من رسول الله ﷺ دعاءه لهم سمعوا منه ﷺ بآذان قلوبهم التى دعاها الله سبحانه وتعالى فسمعت من الله سبحانه ، وتلقت عنه جل جلاله ، فسارعوا إلى ما دعاهم إليه ، وأقبلوا بالكلية عليه ، رضى الله عنهم وعنا بهم إنه مجيب الدعاء آمين .

تعذيب المستضعفين من المسلمين :

وهم الذين سبقوا إلى الإسلام ، ولا عشائر لهم تمنعهم ، ولا قوة لهم يمنعون بها ، فأما من كانت له عشيرة تمنعه فلم يصل الكفار إليه ،

فلما رأوا امتناع من له عشيرة ؛ وثبت كل قبيلة على من فيها من مستضعفى المسلمين ، فجعلوا يحبسونهم ، ويعذبونهم بالضرب والجوع والعطش ورمضاء مكة والنار ، ليفتنوهم عن دينهم ، فمنهم من يفتتن من شدة البلاء وقلبه مطمئن بالإيمان ، ومنهم من تصلب فى دينه ويعصمه الله منهم :

فمنهم بلال بن رباح الحبشى مولى أبى بكر ، وكان أبوه من سبى الحبشة ، فصار بلال لأمية بن خلف الجمحى ، فكان إذا حميت الشمس وقت الظهيرة يلقيه فى الرمضاء على وجهه وظهره ، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتلقى على صدره ، ويقول : لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى ، فكان ورقة بن نوفل يمر به وهو يعذب وهو يقول : أحد أحد ، فيقول : أحد أحد والله يا بلال ، ثم يقول لأمية : أحلف بالله لئن قتلتموه على هذا لأتخذنه حنانا . فرآه أبو بكر رضى الله عنه يعذب فقال لأمية بن خلف الجمحى : ألا تتقى الله فى هذا المسكين ، فقال : أنت أفسدته فأبعدته ، فقال : عندى غلام على دينك أسود أجلد من هذا أعطيكه به ، قال : قبلت ، فأعطاه أبو بكر غلامه وأخذ بلالا فأعتقه ، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ، فكان بلال رضى الله عنه يمزج مرارة العذاب بحلاوة الإيمان بقوله : أحد أحد ، وقد وقع له رضى الله عنه أنه لما احتضر وسمع امرأته تقول : واحزناه ، صار يقول : واطرباه ،غدا ألقى الأحبة ، محمدا وحزبه .

ولما بلغ النبى ﷺ أن أبا بكر اشترى بلالا فقال له : (الشركة يا أبا بكر ، فقال : قد أعتقته يا رسول الله . أى : لأن بلالا قال لأبى

بكر حين اشتراه : إن كنت اشتريتنى لنفسك فأمسكنى ، وإن كنت إنما اشتريتنى لله عز وجل فدعنى لله ، فأعتقه .

وقد اشترى أبو بكر رضى الله عنه جماعة آخرين ممن كانوا يعذبون فى الله منهم حمامة أم بلال ، ومنهم عامر بن فهيرة فإنه كان يعذب فى الله حتى لا يدرى مايقول ، ومنهم أبو فكيهة ، ومنهم امرأة وهى زنيرة عذبت فى الله حتى عميت ورد الله لها بصرها ، وكذا ابنتها ، وكذا امرأة يقال لها لطيفة ، وكذا أخت عامر بن فهيرة أو أمه ، أما ماوقع لسيدنا أبى بكر رضى الله عنه من الأذية فقد تقدم ذكره .

ومما وقع لعبد الله بن مسعود رضى الله عنه من الأذية أن أصحاب رسول الله ﷺ اجتمعوا يوما ، فقالوا : والله ماسمعت قريش القرآن جهرا إلا من رسول الله ﷺ ، فمن فيكم يسمعهم القرآن جهرا ؟ قال عبد الله بن مسعود : أنا ، فقالوا : نخشى عليك منهم ، إنما نريد رجلا له عشيرة يمنعونه من القوم ، فقال : دعونى فإن الله يمنعنى منهم .

ثم إنه قام عند المقام وقت الشمس وقريش فى أنديتهم ، فقال : ﴿ **بسم الله الرحمن الرحيم** ـ رافعا صوته حوله ـ **الرحمن علم القرآن** ... ﴾[1] واستمر فيها فتأملته قريش ، وقالوا : ما بال ابن أم عبد ، فقال بعضهم : يتلو بعض ما جاء به محمد ، ثم قاموا إليه يضربون وجهه وهو مستمر فى قراءته حتى قرأ غالب السورة ، ثم انصرف إلى أصحابه وقد أدمت قريش وجهه ، فقال له أصحابه : هذا الذى خشينا عليك منه ، فقال : والله مارأيت أعداء الله أهون علىّ مثل

---

(١) سورة الرحمن .

اليوم ، ولو شئتم لأتيتهم بمثلها غدا ، قالوا : لا ، قد أسمعتهم مايكرهون .

ومنهم عمار بن ياسر أبو اليقظان العنسى ، وهو بطن من مراد وعنس هذا أسلم هو وأبوه وأمه ، وأسلم قديما ورسول الله ﷺ فى دار الأرقم بن أبى الأرقم بعد بضع وثلاثين رجلا ، أسلم هو وصهيب فى يوم واحد ، وكان ياسر حليفا لبنى مخزوم ، فكانوا يخرجون عمارا وأبوه وأمه إلى الأبطح إذا حميت الرمضاء يعذبونهم بحر الرمضاء ، فمر بهم النبى ﷺ فقال : (صبرا آل ياسر فإن موعدكم الجنة) فمات ياسر فى العذاب ، وأغلظت امرأته سمية القول لأبى جهل فطعنها فى قلبها بحربة فى يديه فماتت ، أى بعد أن قال لها : إنك ما آمنت بمحمد ﷺ إلا لأنك عشقتيه لحسنه وجماله ، وهى أول شهيد فى الإسلام رضى الله عنها ، وشدد العذاب على عمار ، بالحر تارة ، وبوضع الصخر الأحمر على صدره أخرى ، وبالتفريق أخرى ، فقالوا : لا نتركك حتى تسب محمدا وتقول فى اللات والعزى خيرا ، ففعل ، فتركوه ، فأتى النبى ﷺ يبكى ، فقال : (ما وراءك ؟ قال : شر يارسول الله ، كان الأمر كذا وكذا ، قال : فكيف تجد قلبك ؟ ، قال : أجده مطمئنا بالإيمان ، فقال ياعمار إن عادوا فعد) فأنزل الله تعالى : ﴿ **إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان** ﴾[1] فشهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ، وقتل بصفين مع سيدنا على وقد جاوز التسعين ، قيل : بثلاث ، وقيل : بأربع سنين .

---

(١) سورة النحل آية ١٠٦ .

ومنهم خباب بن الأرت ، وكان أبوه سوابيا من كسكر ، فسباه قوم من ربيعة وحملوه إلى مكة فباعوه من سباع بن عبد العزى حليف بنى زهرة ، وسباع هو الذى بارزه سيدنا حمزة يوم أحد ، وخباب تميمى وكان إسلامه قديما ، قيل : ثالث سنة قبل دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم ، فأخذه الكفار وعذبوه عذابا شديدا ، فكانوا يعرونه ويلصقون ظهره بالرمضاء ثم بالرضف – وهى الحجارة المحماة بالنار – ولووا رأسه فلم يجبهم إلى شىء مما أرادوا منه ، وكان ﷺ يألفه ويأتيه ، فلما أسلم وأخبرت بذلك مولاته صارت تأخذ الحديدة – وقد أحمتها بالنار – فتضعها على رأسه ، فشكى ذلك لرسول الله ﷺ فقال : (اللهم انصر خبابا) فاشتكت مولاته رأسها فكانت تعوى مع الكلاب ، فقيل لها : اكتوى ، فكان خباب يأخذ الحديدة وقد أحماها فيكوى رأسها .

وفى البخارى عن خباب قال : أتيتُ رسول الله ﷺ وهو متوسد بردة فى ظل الكعبة ولقد لقينا – يعنى معاشر المسلمين – من المشركين شدة شديدة ، فقلت : يارسول الله ألا تدعو الله لنا ، فقعد رسول الله ﷺ محمرا وجهه فقال : (إنه كان من قبلكم ليمشط أحدهم بأمشاط الحديد ما دون عظمه من لحم وعصب ما يصرفه ذلك عن دينه ، ويوضع المنشار على فرق رأس أحدهم فيشق ما يصرفه ذلك عن دينه ، وليظهرن الله تعالى هذا الأمر حتى يصير الراكب من صنعاء إلى حضر موت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه) وعن خباب رضى الله عنه أنه حكى عن نفسه قال : لقد رأيتنى يوما وقد أوقدوا إلى نار ووضعوها على ظهرى ، فما أطفأها إلا ودك ظهرى – أى : دهنه – وهاجر رضى الله تعالى عنه ،

وشاهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ، ونزل الكوفة ومات سنة ست وثمانين ، رضى الله تعالى عنه .

ومنهم صهيب بن سنان الرومى ، ولم يكن روميا ، وإنما نسب إليهم لأنهم سبوه وباعوه ، وقيل : لأنه كان أحمر اللون ، وهو من النمر بن قاسط ، كناه رسول الله ﷺ أبا يحيى قبل أن يولد له ، وكان ممن يعذب فى الله فعذب عذابا شديدا ، ولما أراد الهجرة منعته قريش ، فافتدى نفسه منهم بماله أجمع .

٦ – ومنهم عامر بن فهيرة مولى الطفيل بن عبد الله الأسدى ، وكان الطفيل أخا عائشة لأمها أم رومان ، أسلم قديما قبل دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم ، وكان يعذب فى الله فلم يرجع عن دينه ، واشتراه أبو بكر وأعتقه فكان يرعى غنما له ، وكان يروح بغنم أبى بكر إلى النبى ﷺ وإلى أبى بكر لما كانا فى الغار ، وهاجر معهما إلى المدينة يخدمهما ، وشهد بدرا وأحدا ، واستشهد يوم بئر معونة وله أربعون سنة ، ولما طعن قال : فزت ورب الكعبة ، ولم توجد جثته لتدفن مع القتلى ، فقيل : إن الملائكة دفنته ، رضى الله عنه .

ومنهم أبو فكيهة واسمه أفلح ، وقيل : يسار . وكان عبدا لصفوان ابن أمية بن خلف الجمحى ، أسلم مع بلال فأخذه أمية بن خلف وربط فى رجله حبلا ، وأمر به فجر ، ثم ألقاه فى الرمضاء ومر به جعل ، فقال له أمية : أليس هذا ربك ؟ فقال : الله ربى وربك ورب هذا ، فخنقه خنقا شديدا ، ومعه أخوه أبى بن خلف يقول : زده عذابا حتى يأتى محمد فيخلصه بسحره ، ولم يزل على تلك الحال حتى ظنوا أنه قد مات ، ثم أفاق ، فمر به أبو بكر فاشتراه وأعتقه ، وقيل : إن بنى عبد الدار كانوا يعذبونه وإنما كان مولى لهم ، وكانوا يضعون

الصخرة على صدره حتى دلع لسانه فلم يرجع عن دينه ، وهاجر ومات قبل بدر رضى الله عنه .

ومنهم لبينة جارية ابن مؤمل بن حبيب بن عدى بن كعب أسلمت قبل إسلام عمر بن الخطاب ، وكان عمر يعذبها حتى تفتن ثم يدعها ويقول : إنى لم أدعك إلا سآمة ، فتقول : كذلك يفعل الله بك إن لم تسلم . فاشتراها أبو بكر فأعتقها .

ومنهم زنيرة وكانت لبنى عدى ، وكان عمر يعذبها ، وقيل : كانت لبنى مخزوم ، وكان أبو جهل يعذبها حتى عميت فقال لها : إن اللات والعزى فعلا بك ، فقالت : وما يدرى اللات والعزى من يعبدهما ؟ ولكن هذا أمر من السماء ، وربى قادر على رد بصرى ، فأصبحت من الغد وقد رد الله بصرها ، فقالت قريش ، هذا من سحر محمد ، فاشتراها أبو بكر رضى الله عنه فأعتقها .

ومنهم النهدية مولاة لبنى نهد ، فصارت لامرأة من بنى عبد الدار فأسلمت ، وكانت تعذبها وتقول : والله لأفعلن عنك أو يبتاعك بعض أصحاب محمد ، فابتاعها أبو بكر رضى الله عنه فأعتقها .

ومنهم أم عبيس – وقيل : عنيس – وهى أمة لبنى زهرة ، فكان الأسود بن عبد الغوث يعذبها ، فابتاعها أبو بكر رضى الله عنه فأعتقها .

وكان أبو جهل يأتى الرجل الشريف ويقول له : أتترك دينك ودين أبيك وهو خير منك ؟ ويقبح رأيه وفعله ، ويسفه حلمه ، ويضع شرفه ، إن كان تاجرا يقول : ستكسد تجارتك ويهلك مالك ، وإن كان ضعيفا أغرى به حتى يعذب ، رضوان الله عنهم .

« تم بحمد الله وعونه وحسن توفيقه الجزء الأول ويليه الجزء الثانى »

محتويات الكتاب

الموضوع	الصفحه

رقم الإيداع
١٩٩٢/٨٨٤٠
I.S.B. N
977- 5273 - o4 - 8

الفرقة الناجية

فرق الهداية — فرق الضلالة

يبين الفرقة الناجية التي لا تنفصل من بين الفرق الأخرى التي افترقت إليها الأمة الإسلامية، كما أنبأ بذلك الرسول ﷺ.

يحدد أن الفرقة الناجية هم السلف الصالح الذين ينزهون المولى عن مشابهات الحوادث، ويقررون أن التوحيد نوع واحد، لا السلف الطالح الذي يأخذ بالتجسيم واعتقاد الجهة لله ويخترع أن التوحيد توحيدان: توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية.

يشرح لنا أن الفرقة الناجية هي التي تأمر وتحض بالقرآن المجيد وتتبع ما كان عليه السلف الصالح في تلاوته للقرآن وما كانوا عليه في أحزابهم وأورادهم.

يرد على المنكرين لزيارة أضرحة الأنبياء والأولياء [illegible] الفرقة الناجية هي التي تعتقد أن أضرحة الأنبياء و[illegible] الشعائر الإسلامية.

يوجه النظر إلى صفات أهل الفرقة الناجية [illegible] المولى سبحانه وتعالى بقوله: (التائبون العابدون [illegible] السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف [illegible] عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين)





دار الكتاب الحديث

[illegible] القاهرة